

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمَائَةِ لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً ﴿مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ﴾

٢

Ji i pari

كُنْ سَبَاقًا



تأليف
أبي المنذر خليل بن إبراهيم أمين

المؤلفون
للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م



دار المقتطف للنشر و التوزيع

الرياض المملكة العربية السعودية

الرياض - خميس مشيط

جوال : ٠٥٧٧٥١١٠٠

تليفاكس : ٠٧/٢٢٢١١٠٠

ص.ب ٣٨٠٩٨٠ - الرياض ١١٣٤٥

E.M:ALMOKTATAF@HOTMAIL.COM

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استهلال

الحمدُ لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فأكتبُ هذه الكلمات ويملؤني التفاؤل، ويحدوني الأمل، وكلِّي ثقةً بأنَّ الفرج قريب...
فما طَالَ ليلٌ حالكٌ إلَّا وأعقبه ضوءُ الفجر
وما اشتدَّ ضيقٌ إلَّا ومعه السعة
وما تعاقب بلاءٌ إلَّا وقرينه العافية
وما عَظُمَت شِدَّةٌ إلَّا وبيدها اليسر
فثقوا، وأبشروا، وأملوا، بأنَّ ﴿مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿١﴾ ولن يغلب عسر يسرين ﴿٢﴾.

(١) سورة الشرح، الآيتان: (٥، ٦).

(٢) من كلام الموقوف على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر: «مستدرک الحاكم» أرقام (٣١٧٦، ٣٩٤٩، ٣٩٥٠)، و«موطأ الإمام مالك» رقم (٩٦١)، و«مصنف ابن أبي شيبة»، وغيرهم.

فالله - تبارك وتعالى - بمنه وكرمه ولطفه، يهيئ - في أحلك الساعات - رجالاً عظاماً يُقدِّرون المسؤولية، ويحملون الأمانة، أولئك هم أصحاب الأعمال الناجحة، والحياة السعيدة، الذين تعرَّض بهم أسرهم، وتسمو بهم أوطانهم.

وإذا كان هناك من هؤلاء الرجال مَنْ هو يعدل ألف رجل، فهناك - على النقيض - مَنْ هو في ميزان الرجال مَنْ لا يعدل جناح بعوضة، والناس كما قال النبي ﷺ: «الإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة»^(١).

كل ما أريده منك وأنت تقرأ كلمات هذه الرسالة، أن تنسى أنك تقرأ كتاباً بغيتك أن تنتهي منه ثم تضعه بعد قليل، ولكن أريد منك أن تقف مع نفسك، وتنظر في ذاتك، وتفتش في أعماقك، أريد منك أن تقرأ لتعمل، وتعمل لتتحول، فهذه (الجرعات النفسية) التي بين يديك تأخذ بيدك لتضعك في مصاف عظماء الرجال.

خليل إبراهيم

(١) متفق عليه، «صحيح البخاري» رقم (٦١٣٣) ج (٥) ص (٢٣٨٣)، «صحيح مسلم» رقم (٢٥٤٧) ج (٤) ص (١٩٧٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل

لعلَّكَ - أخي الكريم - شاهدت مسابقة في رياضة الركنس يوماً ما ولاحظت مثلي الأمور التالية:

- أن كل متسابق من هؤلاء يبذل أقصى ما يملك من الجهد لكي يسبق الجميع.
- أن كل واحد قد ثبَّت بصره على خط النهاية لا يتعداه كفهد يرقب فريسته ليلحق بها.
- أن كل واحد منهم لا يلتفت يمنة ولا يسرة حتى لا يرى مَنْ سبقه فتخور قواه.

إن مثل هذا السباق المشروع في الإسلام - حال خلوه من المحظورات الشرعية - يسكب في الجسد طاقة من الحماسة والجد والاجتهاد للفوز والتكريم، فكل واحد من هؤلاء المتسابقين وضع في ذهنه مسبقاً لحظة التكريم وما ينتج عنها من تكريم شخصي لذاته وتكريم عام لوطنه.

وإني لأطرح عليك هذين السؤالين:
الأول: إن كانت الحياة ميداناً فسيحاً للمسابقة فأين
 موقعك في الميدان؟

الثاني: إن كانت نهضة الأمم ورقيها بمجموع
 أفرادها - سلباً وإيجاباً - فأين موقع أمتك الإسلامية في
 السباق بين الأمم؟

هذان سؤالان يتطلب منك لكي تجيب عنهما أن تلم
 شعئك، وتجمع أمرك، وتعيد صياغة حياتك من جديد
 على مبدأ (المسارعة والمسابقة).

* في عباداتك مع الله (مسابقة).

* في أعمال البر والقربى إلى الله (مسابقة).

* في طلب العلم والتعلم (مسابقة).

* في السعي إلى طلب العمل المباح والرزق

الحلال (مسارعة).

* في الأخذ بأسباب تقدم الأمة ورفقيها (مسابقة).

وإنك لمأجور في كل هذا إذا أحسنت تحويل النية
 إلى (نية الاحتساب).

إن هذا الأمر يتطلب منك النهوض فوراً للاستعداد

للسباق، فالنتيجة الحتمية لهذا السباق ليست «قلادة» يتقلدها المتسابق في عنقه حال فوزه، أو «كأساً» يرفعها على الملأ وسط نظرات الإعجاب. لا. فالأمر أكبر من هذا بكثير.

فالسباق هنا على المستوى الشخصي، إما أن تُثَبِّتَ ذاتك، وتحقق لك ولأسرتك حياة عزيزة كريمة تغنيهم فيها عن ذل السؤال أو العكس.

وأما السباق بين الأمم أو كما يسمونها (صراع الحضارات) فهي: (نكون أو لا نكون)، أو (هويتنا أو الهاوية).



السبق في اللغة

قال في «اللسان»: (سبقه، سابقه سبق، والجمع أسباق، ويسبقه سبقاً: تقدّمه. والسبق: المقدمة في الجري، وفي الحديث: «أنا سابق العرب» [يعني إلى الإسلام]، «وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبشة، وسلمان سابق الفرس»^(١)، ويقال سبق: إذا أخذ السبق^(٢).

والمسابقة فيها منافسة، والمنافسة: هي المغالبة وكمال الرغبة في الشيء ومنع الغير منه، ولم يُمدح فيها المشاركة، ومنها قول الله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٣)، قال ابن كثير: «وفي مثل هذه

(١) «مستدرک الحاكم» رقم (٥٢٤٣)(٤٥٤/٣)، و«معجم الطبراني الثلاثة»، «الكبير» رقم (٧٢٨٨، ٧٥٢٦، ١٠٦٢)، و«الأوسط» رقم (٣٠٣٦)، و«الصغير» رقم (٢٨٩)، ورواه عبدالرزاق في مصنفه وابن أبي شيبة.

(٢) «لسان العرب» ابن منظور، ج (١٠) ص (١٥١).

الحال فليتفاخر المتفخرون، وليتباهى ويكاثر ويستبق إلى مثله المستبقون»^(١).

وقد جعل الشارع الحكيم الطاعات والقربات وغيرها من أعمال البر والقربى إلى الله محلاً للتنافس والتسابق ولم يجعلها محلاً للإيثار، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والسرُّ فيه - والله أعلم - أن الإيثار إنما يكون بالشيء الذي يضيق عن الاشتراك فيه، فلا يسع المؤثر والمؤثر، بل لا يسع إلا أحدهما، وأما أعمال البر والطاعات فلا ضيق على العباد فيها فلو اشتركت الآلاف المؤلفة في الطاعة الواحدة لم يكن عليهم فيها ضيق ولا تراحم ووسعتهم كلهم»^(٢).



(١) «تفسير القرآن العظيم» ابن كثير، ج (٤) ص (٥٢٠).
 (٢) «طريق الهجرتين» ابن قيم الجوزية، ج (١) ص (٤٤٥).

«فاستبقوا الخيرات»

وقد أقرَّت الشريعة الغراء المسابقة بالأقدام،
والمسابقة بين الإبل، وبين الخيل، لإذكاء روح
المنافسة في الجيل المسلم للاستعداد لما هو أهم
وأولى، وحثت على المنافسة والمبادرة إلى فعل
الخير، ومدحت السباقون إليه وربَّت لهم عظيم الأجر
والثواب الذي لا يوازيهم فيه أحدٌ وهو قربهم في
جنَّات النعيم من رب العالمين وكرامته.

قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢١)،
ففي هذه الآية الكريمة أمر الله - تبارك وتعالى -
بالمسارعة مسارعة المتسابقين بالأعمال الصالحة التي
توجب المغفرة لهم من ربهم والتوبة مما وقع من

(١) سورة الحديد، الآية: (٢١).

الذنوب والمعاصي لنيل الفوز بالجنان»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ ﴿٦١﴾ ﴿٢﴾ .

ومعنى الآية أنهم: يُعْطُونَ من أنفسهم، مما أَمَرُوا به، ﴿مَاءً آتَوْا﴾ من كل ما يقدرُونَ عليه، من صلاة، وزكاة، وحج، وصدقة وغير ذلك، (و) مع هذا (قلوبهم وجلة) خائفة عند عرضها عليه، والوقوف بين يديه، أن تكون أعمالهم غير منجية من عذاب الله^(٣).

ورغم هذا الخوف والوجل ف ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ﴾ أي: في الطاعات، كي ينالوا بذلك أعلى
الدرجات والغرفات، وقرئ (يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ):
أي يكونوا سراعاً إليها، ويسارعون على معنى يسابقون
من سابق إليها^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١١) فِي

(١) انظر «تفسير السعدي» و«فتح القدير» للشوكاني.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان (٦٠، ٦١).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» السعدي، سورة المؤمنون (٦٠، ٦١).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي، سورة المؤمنون (٦٠).

جَنَّتِ النَّعِيمُ ﴿١٢﴾ (١).

وقد اختلفت أقوال السلف - رحمهم الله - في تعيين من هم السابقون المعنيون في هذه الآية على أقوال عدة، فقالوا: (هم الأنبياء، وقالوا: هم أهل عليين، وقالوا: يوشع بن نون سبق إلى موسى، ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب سبق إلى محمد رسول الله ﷺ، وقالوا: الذين صلوا إلى القبلتين، وقالوا: السابقون من كل أمة، وقالوا: هم أولهم رواحا إلى المسجد، وأولهم خروجاً في سبيل الله) (٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ذكر جميع هذه الأقوال: «وهذه الأقوال كلها صحيحة، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا... فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان» (٣).

(١) سورة الواقعة، الآيات: (١٠ - ١٢).

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» ابن كثير، ج (٤) ص (٣٠٤).

(٣) المصدر السابق.

(1) 

(۲)

فتفتن - يا رعاك الله - لجزاء السابق وعظيم أجره
عند الله مقارنة بغيره، وقد أثر عن أمير المؤمنين عمر
بن الخطاب أنه مرَّ برجل يقرأ هذه الآية ﴿وَالسَّابِقُونَ
الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ فأخذ عمر بيده فقال: مَنْ
أقرأك هذا؟ فقال: أبي بن كعب، فقال: لا تفارقني
حتى أذهب بك إليه، فلمَّا جاءه قال عمر: أنت أقرأت
هذا هذه الآية هكذا، قال: نعم. قال: وسمعتها من
رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: لقد كنت أرى أنا

(١) سورة التوبة، الآية: (١٠٠).

(۲) انظر: «تفسير القرآن العظيم» ابن كثير، ج (۲) ص (۳۹۸).

رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، فقال أبي: تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢)، وفي سورة الحشر ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، وفي الأنفال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدْوَامَعَكُمْ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْآتِرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (٢٢) عَلَى الْأَرْآكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (٢).

وهنا حض من الله - تبارك وتعالى - على التنافس والتسابق من أجل الفوز بهذا العطاء، قال صاحب «فتح القدير» «وأصل التنافس التشاجر على الشيء والتنازع فيه، بأن يحب كل واحد أن يتفرد به دون صاحبه، قال البغوي: أصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس فيريده كل واحد لنفسه، وينفس به على

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» ابن كثير، ج (٢) ص (٣٩٨).

(٢) سورة المطففين، الآيات: (٢٢ - ٢٦).

غيره: أي يضمن به، وقال عطاء: فليستبق المستبقون، وقال مقاتل بن سليمان: فليتنازع المتنازعون»^(١).

وتتضافر نصوص السُّنة النبويَّة الشريفة مع نصوص القرآن الكريم لإزكاء روح المسابقة والمسارة ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة لأتوها ولو حبواً»^(٢).

فإدراك الصف الأول في الصلاة فيه مسابقة ومنافسة لِمَا له من فضيلة لو علمها العبد لجالد عليه، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: (لو يعلمون ما في الصف الأول من الفضيلة وجاءوا إليه دفعة واحدة وضاق عليهم [أي لم

(١) «فتح القدير» الشوكاني، ج () ص ().

(٢) متفق عليه، «صحيح البخاري» رقم (٥٩٠) ج (١) ص (٢٢٢)، «صحيح مسلم» رقم (٤٣٧) ج (١) ص (٣٢٥)، «صحيح ابن حبان» رقم (٢١٥٣) ج (٥) ص (٥٢٧١)، وغيرهم من أهل السنن والمسانيد.

يسبق أحدهما الآخر] ثم لم يسمح بعضهم لبعض به، لاقتروا عليه^(١).

والتهجير فيه مبادرة ومسابقة كما قال النضر بن شميل في أصح الأقوال: التهجير إلى الجمعة وغيرها وهو التبكير والمبادرة إلى كل شيء.

وإدراك صلاة الفجر والعشاء فيه مسابقة واجتهاد ولو حبواً على الركب.

وأخبر النبي ﷺ بعظيم الثواب لمن يسبق إلى المسجد في الساعات الأولى من يوم الجمعة، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» ج (٤) ص (١٥٨)، شرح حديث رقم (٤٣٧).

بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد أن رسول الله ﷺ رأى في أصحابه تأخراً فقال لهم: «تقدموا فائتموا بي، وليأتكم بكم من بعدكم، ولا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله»^(٢).

فانظر إقرار الشريعة الإسلامية بشقيها القرآن والسنة لهذا الأمر وإزكائه.



(١) متفق عليه، «صحيح البخاري» رقم (٨٤١) ج (١) ص (٣٠١)، «صحيح مسلم» رقم (٨٥٠) ج (٢) ص (٥٨٢)، «صحيح ابن حبان» رقم (٢٧٧٥) ج (٧) ص (١٣)، و«أصحاب السنن».

(٢) «صحيح مسلم» رقم (٤٣٨) ج (١) ص (٣٢٥)، «صحيح ابن خزيمة»، و«سنن أبوداود» واللفظ لمسلم.

النبي ﷺ يقرر مبدأ المسابقة

ولإزكاء روح المنافسة في الأمة يقرر النبي ﷺ مبدأ المسابقة بفعله تارة وإقراره أخرى، فقد ثبت عنه ﷺ أنه سابق بالأقدام، وسابق بين الإبل، وسابق بين الخيل، وأقرَّ سباق الصحابة بين يديه ﷺ.

السباق بالأقدام:

ففي صحيح ابن حبان وأبوداود والمسند وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها، أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر، قالت: فسابقته فسبقته على رجلي، فلما أرهقني اللحم سابقته فسبقني، فقال: «هذه بتلك السبقة»^(١).

وفي رواية: «أنهم كانوا في سفر، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال لعائشة:

(١) «صحيح ابن حبان» رقم (٤٦٩١) (١٠) ص (٥٤٥)، «سنن أبي داود» رقم (٢٥٧٨) ج (٣) ص (٢٩)، و«سنن ابن ماجه»، و«سنن البيهقي»، و«مسند الإمام أحمد» رقم (٢٦٣٢٠) ج (٦) ص (٢٦٤).

«سابقيني»، فسابقها، فسبقته، ثم سافرت معه مرة أخرى، فقال لأصحابه: «تقدموا»، ثم قال: «سابقيني»، فسبقته، ثم سابقني وسبقني، فقال: «هذه بتلك».

هل من مسابق؟

وفي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع قال: فبينما نحن نسير، قال: وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً، قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك، قال: فلما سمعت كلامه قلت: أما تكرم كريماً، ولا تهاب شريفاً؟ قال: لا، إلا أن يكون رسول الله ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله! بأبي وأمي! ذرني فلاسابق الرجل، قال: «إن شئت». قال: قلت: اذهب إليك، وثنيت رجلي فطفرت فعدوت، قال: فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقي نفسي، ثم عدوت في إثره، فربطت عليه شرفاً أو شرفين، ثم إني رفعت حتى ألحقه، قال:

فأصكه بين كتفيه، قال: قلت: قد سبقت والله! قال: أنا أظن، قال: فسبقته إلى المدينة...»^(١).

قال القرطبي: «والمسابقة مشروعة في الإسلام بغرض تدريب النفس على العدو، لأنه الآلة في قتل العدو، قال ابن العربي: المسابقة شرعة في الشريعة وخصلة بديعة وعون على الحرب»^(٢).

مسابقة النبي ﷺ بين الخيل:

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سابق رسول الله ﷺ بين الخيل، فأرسلت التي أضمرت منها وأمدّها الحفيا إلى ثنية الوداع، والتي لم تضر أمدّها ثنية الوداع إلى مسجد بني زريق^(٣).

(١) «صحيح مسلم» رقم (١٨٠٧) ج (٣) ص (١٤٣٣)، «صحيح ابن حبان» رقم (٧١٧٣) ج (١٦) ص (١٣٣)، و«مسند الإمام أحمد» رقم (١٦٥٨٧) ج (٤) ص (٥٢)، و«سنن البيهقي الكبرى»، و«مصنف ابن أبي شيبة».

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي، ج (٩) ص (١٤٥).

(٣) متفق عليه، «صحيح البخاري» رقم (٤١٠)، ج (١) ص (١٦٢)، «صحيح مسلم» رقم (١٨٧٠)، ج (٣) ص (١٤٩١)، و«سنن النسائي» =

وعن موسى بن عقبة: أن بين الحفياء إلى ثنية الوداع ستة أميال أو سبعة.

مسابقة النبي ﷺ بين الإبل:

وسابق ﷺ بين الإبل، ففي صحيح البخاري تعليقاً
عن أنس بن مالك، قال: كانت (العضباء) لا تُسَبِّقُ،
فجاء أعرابيٌّ على قعود له، فسبقها، فسبقها الأعرابي،
وكان ذلك شقاً على أصحاب رسول الله ﷺ فقال:
«حقٌّ على الله أن لا يرتفعُ شيءٌ إلاَّ وَضَعَهُ»^(١).



= والبيهقي والدارقطني وموطأ مالك.

(١) «صحيح البخاري» رقم (٢٧١٧)، ج (٣٠) ص (١٠٥٣)، ورقم (٦١٣٦)، و«سنن أبي داود رقم (٤٨٠٢، ٤٨٠٣)، ج (٤) ص (٢٥٤)، و«سنن النسائي».

آخر الأنبياء وأسبقهم محمد ﷺ

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

هنا ينتهي السباق إليه ﷺ، يقول عن نفسه ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مُشَفَّع ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر» (٢).

فنبينا محمد ﷺ أسبق الأنبياء إلى الجنة، وأسبقهم إلى الشفاعة. قال الحلبي بعد أن عدَّدَ مدائحه ومراتبه ﷺ: «وأما المرتبة العظمى وهي النبوة والرسالة فله فيها من المآثر الرفيعة وعموم رسالته إلى الثقلين وشمولها بين الخافقين، وأنه خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وأكرمهم في الدنيا أعلاماً، وأحمدهم في الآخرة مقاماً،

(١) سورة الحجرات، الآية: (١).

(٢) «سنن ابن ماجه» (٤٣٠٨)، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة (٥٤٠/٣)، و«المسند» (١٠٦٠٤).

وذلك أنه أول مَنْ تنشق عنه الأرض، وأول شافع مُشَفَّع، وهو صاحب اللواء المحمود، وصاحب الحوض المورود، وأقسم الله بحياته، ولم يخاطبه باسمه في القرآن ولا كنيته، بل دعاه باسم النبوة والرسالة واصطفاه بذلك على الجماعة^(١).

انتهى السباق:

عند أكمل الناس خلقاً، وأزكى الناس نفساً، وأجود الناس كفاً، وأوسع الناس صدرأً، وألين الناس عريكةً، وأشرف الناس نسباً، وأفصح الناس لساناً، وأثبت الناس جناناً، وأشجع الناس قلباً.

روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي، باب حب النبي ﷺ رقم (١٣٨٤)، ج (٢) ص (١٣٢).

على فرس لأبي طلحة عُرِي، وفي عنقه السيف وهو يقول: «لَمْ تُرَاعُوا. لَمْ تُرَاعُوا» قال: وجدناه بَخْرًا^(١).

وقد كانت شجاعته ﷺ وسبقه إلى صفوف العدو الملاذ الآمن الذي يأوي إليه شجعان الصحابة رضي الله عنهم وقت الفزع وتطايير الهامات في القتال ليحتموا به ﷺ، يقول البراء رضي الله عنه: «كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَاسُ، نَتَّقِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لِلَّذِي يَحَازِي بِهِ»^(٢).

ألا ما أبلغ قول القائل:

إن الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول

وفي غزوة حنين لمَّا فرَّ الناس وانكشفوا، ثبت النبي

(١) متفق عليه، «صحيح البخاري» رقم (٢٧٥١)، ج (٢) ص (١٠٦٥)، و«صحيح مسلم» رقم (٥٣٠٧)، ج (٤) ص (١٨٠٢)، و«صحيح ابن حبان»، وغيرهم من أصحاب السنن.

(٢) «صحيح مسلم» رقم (١٧٧٦)، ج (٣) ص (١٤٠١)، و«مسند الإمام أحمد» رقم (١٣٤٦)، ج (١) ص (١٥٦)، و«مصنف ابن أبي شيبة» رقم (٣٢٦١٥)، ج (٦) ص (٤٢٦).

ﷺ وأخذ يركض قِبَلَ الكفار ينادي: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب»^(١)، ثم قال للعباس: «أي عباس! ناد أصحاب السمرة» فقال عباس بأعلى صوته - وكان رجلاً صيتاً -: «أين أصحاب السمرة؟ فأووا إليه ﷺ يقولون: «يا لبيك يا لبيك، فاقتلوا والكفار حتى انتصروا».

وتسري روح السباق هذه إلى صاحبه أبي بكر رضي الله عنه، فلم يستطع أحد أن يسبقه إلى خير قط، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ يمشي وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول الله ﷺ يسمع قراءته، فلما كدنا أن نعرف الرجل، قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد». قال: ثمّ جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول: سل تعطه، مرتين. قال: فقال عمر: فقلت:

(١) متفق عليه، «صحيح البخاري» رقم (٢٧٠٩، ٢٧١٩، ٢٧٧٢، ٢٨٧٧)، ج (٣)، «صحيح مسلم» رقم (١٧٧٦)، ج (٣) ص (١٤٠١)، و«صحيح ابن حبان»، وغيرهم.

والله لأغدونَّ إليه فلاُبشرنه، قال: فغدوت إليه لأبشره
فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره، ولا والله ما
سابقته إلى خير قط إلا سبقني»^(١).

* * *

(١) «صحيح ابن خزيمة» رقم (١١٥٦)، ج (٢)، ص (١٨٦)، و«مسند
الإمام أحمد» رقم (١٧٥)، ج (١)، ص (٢٥)، و«المعجم الكبير»
للطبراني رقم (٨٤٢٠)، ج (٩)، ص (٦٩).

السبقية في حياة الصحابة رضي الله عنهم

وهنا سبق القوم فلم يُوقَفْ لهم على رسم أو يُعَفَّ لهم على أثر.

تأمل قول حسان فيهم:

إن كان في الناس سباقون بعدهم

فكل سبقٍ لأدنى سبقهم تبع

أعفة ذكرت في الوحي عفتهم

لا يطمعون ولا يزرى بهم طمع

وليس أصدق من قول الله تعالى فيهم:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

لقد كان بوسع التاريخ أن يمر بأولئك الرجال كما

مرَّ بملايين العرب من قبلهم والملايين من بعدهم دون

(١) سورة التوبة، الآية: (١٠٠).

أن يأبه لهم بذكر، أو يخطرأ له على بال، لو لم تكن نفوسهم تَوَاقه، وهممهم سَبَّاقه، وقلوبهم لا تعرف الوهن، فأبوا إلا أن يملكوا المجد من أطرافه ثم يسُوقوه فانقاد لهم طيعاً ليناً.

(إنَّهم رجال جاءتهم دعوة الإسلام فأمنوا بها، وصدقوها قلوبهم، ووضعوا أيديهم في يد الرسول ﷺ وهانت عليهم نفوسهم وأموالهم وعشيرتهم واستطابوا المرات والمكاره في سبيل الدعوة إلى الله، وأفضى يقينها إلى قلوبهم، وسيطر على نفوسهم وعقولهم، فصدرت عنهم عجائب الإيمان بالغيب، والحب لله والرسول، والشدة على الكافرين، والرحمة على المؤمنين، وإيثار الآخرة على الدنيا، والآجل على العاجل، والغيب على الشهود، والهداية على الجباية، والحرص على دعوة الناس، وإخراج خلق الله من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، والشوق إلى لقاء الله والحنين إلى الجنة، وعلو الهمة، ونشر رفد الإسلام في العالم، ونسوا في ذلك لذاتهم،

وهجروا راحتهم، وغادروا أوطانهم، وبذلوا مهجهم
وحرّ أموالهم، حتى ألقى الدين بجُرّانه، وأقبلت
القلوب إلى الله، وهبت ريح الإيمان قوية عاصفة،
طيبة مباركة، وقامت دولة التوحيد والإيمان، ودخل
الناس في دين الله أفواجا^(١).

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (مَنْ
كان مستنّاً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد
ﷺ، كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً وأعمقها علماً،
وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل
دينه)^(٢).

وعن أبي ركانة قال: صليت مع علي رضي الله عنه
صلاة الفجر، فلما انفتل عن يمينه مكث كأنّ عليه
كأبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد
رمح، صلى ركعتين، ثم قلب يده فقال: والله لقد
رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم،

(١) «حياة الصحابة»، محمد يوسف الكاندهلوي، ج (١) ص (٢).

(٢) «حلية الأولياء»، لأبي نعيم، ج (١) ص (٣٥٠).

لقد كانوا يصبحون صُفْرًا، شعثًا غبرًا، بين أعينهم
 كأمثال رُكْب المعزى [يعني من البكاء] قد باتوا لله
 سُجْدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله، يتراوحن بين جباههم
 وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يمد
 الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم
 والله لكان القوم باتوا غافلين، ثم نهض فما رُئي بعد
 ذلك مفترًا يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله
 الفاسق»^(١).

أولئك أصحاب محمد ﷺ الذين قال الله فيهم:
 ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
 فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾
 وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
 وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ

(١) «البداية والنهاية»، ابن كثير، ج (٨) ص (٦)، وفي «كنز العمال»،
 وغيرهما.

(٢) سورة الفتح، الآيتان: (١٨ - ١٩).

وقال تعالى : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا ﴾ (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدَقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ (٢).

فمن ذا الذي يستطيع أن يحصي مآثرهم ويعد فضلهم ويجمع سبقهم إلى الإسلام والإيمان، وسبقهم إلى الدعوة إلى الله وتحملهم الشدة والبلاء والعنت في سبيل ذلك، وسبقهم إلى الهجرة وترك ديارهم وأهلهم وأوطانهم، وتحملهم البلاء في سبيل ذلك، وتسابقهم إلى تنفيذ أوامر النبي ﷺ إلى درجة الاقتتال كالحصول على أثر من أثره أو فضل وضوءه ﷺ، وتسابقهم إلى الجهاد واسترخاض النفس وبذل الروح في سبيل الله،

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: (٢٣ - ٢٤).

وتسابقهم في طلب العلم، وتسابقهم في البذل والإنفاق، وكثيرٌ مما ضمت وقائعها كتب السير والتاريخ والتراجم، فقد طفحت هذه الكتب وتلك المجاميع بأخبارهم وحكاياتهم.

فمن ذا الذي ينكر فضل الصديق أبي بكر رضي الله عنه، وسابقته في الإسلام والدعوة إليه حتى أسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة، وسابقته في الدفاع عن النبي ﷺ، وسابقته في البذل والإنفاق على العتقاء وتقوية الصف الإسلامي، وسابقته في أمور كثيرة بما سنفصل القول فيه بعد قليل.

ومن ينكر فضل أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسابقته في تدوين التاريخ الإسلامي وسابقته في جمع القرآن في المصحف، وسابقته في جمع الناس على صلاة التراويح، وسابقته في عمل صف من العسس، وسابقته في حمل الدرة والتأديب بها، وسابقته في وضع الخراج وتمصير الأمصار، واستقضاء القضاء، وتدوين الدواوين، وفرض الأعطية.

عمل بعد هذا».

وسابقته في اقتلاع باب حصن خيبر وفتحها.

ولو ذهبت تستقصي سيرة كل صحابي على حدة
لوجدت في سيرته من الفضل والسبقية ما يجعلك تجده

أعجوبة من الأعاجيب، وحسبك هذه المقتطفات من
أزهار سيرة صديق الأمة رضي الله عنه وأرضاه، ففيها
القدوة والأسوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا
اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١).

* * *

(١) سورة الممتحنة، الآية: (٦).

الصِّدِّيقُ السَّبَاقُ

لو رجعنا نستقصي مواقف السبقية في سيرة الصِّدِّيقِ الأكبر رضي الله عنه لضاق بنا المقام ولكن نأخذ منها ما يناسب الحال لترى القدوة مثلاً حياً واقعاً، فمن ذلك:

* سبقه إلى الإسلام (حيث أسلم في أول يوم للدعوة رضي الله عنه، وكان أول مَنْ هاجر بإسلامه والدعوة إلى الإسلام فأسلم بدعوته ثمانية نفر هم طليعة الرعيل الأول للإسلام)^(١).

* سبقه إلى صحبة النبي ﷺ، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالَهُ أَبُوبَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَخِذَا خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لَاتَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ وَمُودَتُهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا

(١) «الرحيق المختوم»، للمباركفوري، ص (٩٣ - ٩٤).

سُدَّ، إلا باب أبي بكر^(١).

وَمَنْ منا يجهل قول النبي ﷺ له فيما حكاه القرآن:
﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٢)، وقوله: «ما ظنك يا
أبا بكر باثنين الله ثالثهما»^(٣).

* سبقه إلى تصديق النبي ﷺ، ويتجلى ذلك في
خبر الإسراء والمعراج، حين قالت قريش: هذا والله
الأمر البين، والله إن العير لتطرد شهراً من مكة إلى
الشام مدبرة، وشهراً مقبلة، أفذهب ذلك محمد في
ليلة واحدة، ويرجع إلى مكة، قال الحسن: فارتدَّ كثير
ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر (يخبرونه
بذلك) فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك، يزعم
أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع

(١) متفق عليه، «صحيح البخاري» رقم (٤٥٤)، ج (١) ص (١٧٧)،
و«صحيح مسلم» رقم (٢٣٨٢)، ج (٤) ص (١٨٥٤)، و«صحيح ابن
حبان» رقم (٦٥٩٤، ٦٨٦١)، وغيرهم.

(٢) سورة التوبة، الآية: (٤٠).

(٣) متفق عليه، «صحيح البخاري» رقم (٣٤٥٣)، ج (٣) ص (١٣٣٧)،
«صحيح مسلم» رقم (٢٣٨١)، ج (٤) ص (١٨٥٤).

إلى مكة، فقال أبوبكر: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه (من الله) من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه. قال ابن هشام: سُمِّي أبوبكر صديقاً لتصديقه هذه الواقعة حين كذبها الناس»^(١).

* سبقه إلى البذل والإنفاق على الدعوة، فقد روى ابن حبان من حديث عائشة أنها قالت: «أنفق أبوبكر على النبي ﷺ أربعين ألف درهم»^(٢).

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما لأحد له عندنا يد إلا كافيناه عليها، ما خلا أبابكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر»^(٣).

* سبقه في الدفاع عن النبي ﷺ، قال علي بن أبي

(١) «السيرة النبوية»، لابن هشام، ج (١) ص (٣٩٩).

(٢) ذكره ابن حجر في «فتح الباري»، ج (٧) ص (٣٦٠).

(٣) «سنن الترمذي» رقم (٣٦٦١)، ج (٥) ص (٦٠٩)، وذكره ابن حجر في «فتح الباري» ج (٧) ص (٣٦٠).

طالب يوماً: أخبروني بأشجع الناس، قالوا: أنت، قال: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكنه أبوبكر - رضي الله عنه - لقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش، هذا يجؤه، وهذا يتلقاه، وهم يقولون: أنت الذي جعل الآلهة إلهاً واحداً.

قال علي: فوالله ما دنا منا أحد، إلا أبوبكر رضي الله عنه يضرب هذا، ويجاهد هذا، وهو يقول: ويلكم أقتلوا رجلاً أن يقول ربي الله، ثم رفع علي رضي الله عنه بردة كانت عليه، فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبوبكر، فسكت القوم، فقال علي: والله لساعة من أبي بكر خير منه، ذلك رجل يكتم إيمانه، وهذا يعلن إيمانه»^(١).

ويذكر أبو الوفاء محمد ﷺ لأبي بكر تلك الأيادي البيضاء، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت

(١) ذكره الحافظ في «الفتح» (٢٠٧/٧)، وأصله في «الصحيح» كتاب الأنصار (٣٨٥٦).

(۱) «صحيح البخاري» رقم (۳۴۶۱)، ج (۳) ص (۱۳۳۹)، ورقم (۳۶۴)، ج (۴) ص (۱۷۰۱).

الحقائق في قلب أبي بكر ليلقم أبوبكر الشيطان في فيه حجراً كبيراً فيحفظ الله به الدين، وفي هذا نذكر موقفين اثنين:

الأول: ارتجت المدينة النبوية، وأصاب الناس الحزن والهلع الشديد، فقد مات المعلم والقائد والقدوة والمربي، مات النبي ﷺ وارتج الناس وذهلوا، حتى أن عمر وهو - الحليم الرشيد - يتوشح سيفه ويأتي متوعداً يقول: (إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، ووالله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات»^(١).

أي فتنة أشد من هذه، وأي بلاء أعظم من هذا؟ الإسلام في خطر، ويحتاج الموقف رجالاً سباقاً، فمن لها غير أبي بكر.

(١) «السيرة النبوية»، لابن هشام، ج (٤) ص (٣٠٦).

يدرك أبوبكر خطورة الموقف فيكفكف جراحه،
ويكلم حُزنه على موت رسول الله ﷺ والذي مات
بسببه، كما روى ذلك ابن عمر رضي الله عنهما قال:
(كان سبب موت أبي بكر وفاة رسول الله ﷺ، كَمَدَ فما
زَالَ جسمه يجري حتى مات) (١).

ويتقدم في حكمة وتؤدة ورصانة بعد أن أبصر محنة
فغر فيها الشيطان فاه، يريد أن يتلقفهم ويجتالهم عن
دينهم، فنظر إلى عمر رضي الله عنه وهو متوشحاً سيفه
يهدد ويتوعد، فقال له: اجلس. فأبى. فقال: اجلس،
ثم قام فتشهد أبوبكر، فمال إليه الناس، فقال: (أَمَّا
بعد، فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد
مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال
الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ
مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ
يُضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢).

(١) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي.

(٢) «صحيح البخاري» رقم (١١٨٥) ج (١) ص (٤١٩)، ورقم (٤١٨٧)
ج (٤) ص (١٦١٨).

تقول عائشة - رضي الله عنها -: (فوالله لكأنَّ الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبوبكر - رضي الله عنه - فتلقاها منه الناس، فما يُسمع بشرٌ إلا يتلوها) ^(١).

ومرت الفتنة وحُفِظ الدين بأسبقية رجل الموقف

الثاني: وهو قريب زمنه من الأول فما علم الكثير بموت النبي ﷺ حتى (ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة، في كل قبيلة، ونَجِمَ النفاق، واشترأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية، لفقد نبيهم وقتلهم وكثرة عدوهم) ^(٢)، فما العمل؟ إن الخلافة تواجه اختباراً عسيراً، وموازنة حرجة وهي في مهدها، فما الخيار الأمثل؟

جمع أبوبكر المهاجرين والأنصار وقال: إن هذه العرب قد منعوا شاتهم وبعيرهم ورجعوا عن دينهم، وإن هذه العجم قد تواعدوا نهاوند ليجمعوا قتالكم

(١) المصدر السابق.

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/٢٤٥).

وزعموا أن هذا الرجل الذي كنتم تنتصرون به قد مات، فأشيروا عليّ، فما أنا إلا رجل منكم وإني أثقلكم حملاً لهذه البلية، فأطرقوا طويلاً، ثم تكلم عمر بن الخطاب فقال: أرى والله يا خليفة رسول الله أن تقبل من العرب الصلاة وتدع لهم الزكاة فإنهم حديثو عهد بجاهلية لم يَقْذُهُمُ الإسلام، فإما أن يردهم الله إلى خير، وإما أن يعز الله الإسلام فتقوى على قتالهم، فما لبقية المهاجرين والأنصار يدان للعرب والعجم قاطبة، فالتفت إلى عثمان فقال: مثل ذلك، وقال عليّ مثل ذلك، وتابعهم المهاجرون، ثم التفت إلى الأنصار فتابعوهم.

إن موقفاً مثل هذا ليفت من عضد أي حاكم وينال من عزمه، خصوصاً إذا كان لا يشك في نصيح أصحابه وإخلاصهم له.

لكن عزيمة أبي بكر المضّاءة السبّاقة ترى غير هذا، فيصعد المنبر، ويحمد الله، ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول: (أما بعد: فإن الله بعث محمداً ﷺ والحق قلّ شريد، والإسلام غريب طريد، قد رثّ حبله، وقلّ

أهله، فجمعهم الله بمحمد ﷺ حتى ينجز الله لنا وعده
 وفي لنا عهده... والله لو منعوني عقلاً مما كانوا
 يعطون رسول الله ﷺ ثمَّ معهم الشجر والمدر والجن
 والإنس لجاهدتهم حتى تلحق روعي بالله. إن الله لم
 يفرق بين الصلاة والزكاة، فجمعهما، فكبر عمر
 وقال: والله قد علمت حين عزم الله لأبي بكر على
 قتالهم أنه الحق^(١).

نعم يا رجل النوازل، ألسن القائل: (لست تاركاً
 شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني
 أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ)^(٢).

ألا ما أركى عبر كلماته والتي لا زال شذاها يفوح
 عبر الزمان ليصك أنف كل ظالم وباغ حين جلس
 يخطب خطبة الخلافة وهو يقول: «أيها الناس إني قد
 وُلّيت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن

(١) «البداية والنهاية» ابن كثير (٣١٥/٦).

(٢) متفق عليه، «صحيح البخاري» رقم (٢٩٢٦)، ج (٣) ص (١١٢٦)،
 «صحيح مسلم» رقم (١٧٥٩)، ج (٣) ص (١٣٨١).

أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة،
والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن
شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن
شاء الله. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم
الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم
بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت
الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم
يرحمكم الله»^(١).

ثم يستقبل صباح أول يوم من خلافته غادياً إلى
السوق، وعلى رقبتة أثواب يتجر بها، فلقيه عمر بن
الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فقالا: أين تريد يا
خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: السوق. قالوا: تصنع ماذا
وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: ومن أين أطعم عيالي؟
قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً، ففرضوا له برداه
إذا أخلقهما [أي أبلاهما] وَضَعهما وأخذ غيرهما،

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٠٥ - ٣٠٦).

وظهره إذا سافر [دابة]، ونفقته على أهله كما كان قبل أن يُستخلف، قال: رضيت^(١).

ويجتمع الناس على عمر ليكلم خليفة المسلمين كي يراجع قراره في إنفاذ بعث أسامة، فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر: ارجع إلى خليفة رسول الله ﷺ فاستأذنه، يأذن لي أن أرجع بالناس، فإن معي وجوه الناس وحدهم، ولا آمن على خليفة رسول الله وثقل رسول الله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون فيأتي عمر إلى أبي بكر ويخبره بمقالة الناس، فيقول: «لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ»، ثم أخذ بلحية عمر وقال له: «ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ وتأمرنى أن أنزعه».

ويخرج يشيع بعث أسامة وهو ماش وأسامه راكب فيقول أسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبنّ أو لأنزلنّ! فقال: والله لا تنزل ووالله لا أركب! وما عليّ

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/١٣٧).

أَنْ أُغَبِّرَ قَدَمِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَاعَةً^(١).

هكذا كانت السبقية في حياة صديق الأمة، فما جزاؤه في الآخرة؟

الصديق يسبق الأمة إلى دخول الجنة:

هذه بعض المواقف المضيئة في حياة صديق الأمة رضي الله عنه وأرضاه، وقاتل من بغضه وأجلاه، تبين بوضوح وجلاء كيف ساهمت شخصية أبي بكر الصديق السبابة في بناء صرح الإسلام في مهده، وكيف حفظ الله به الدين بهذه الروح السبابة في أصعب مراحلها بعد موت النبي ﷺ. فما هو جزاؤه في الآخرة؟ إن الجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً، فجزاء الصديق في الآخرة أن يكون أول من يدخل الجنة من أمة محمد ﷺ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فأخذ بيدي، فأراني باب الجنة التي

(١) للاستزادة انظر: «أبوبكر رجل الدولة» لكتابه مجدي حمدي. فهو بحث قيّم استفدت منه.

تدخل منه أمتي، فقال أبوبكر: يا رسول الله، وددت
أنني كنت معك حتى أنظر إليه، فقال: أما إنك يا أبابكر
أول من يدخل الجنة من أمتي^(١).
تلك المكارم لا قعبان من لبن
وهكذا السيف لا سيف بن ذي يزن

* * *

(١) «سنن أبي داود»، كتاب السنة (٢/٦٢٤)، و«مستدرک الحاكم»،
و«المعجم الأوسط» للطبراني.

أنموذج آخر من مسابقات الصحابة رضي الله عنهم

سبقك بها عكاشة:

وصاحب الروح السبابة يقتنص الفرص ولا يدعها لغيره، بل يسبق إليها، فأولئك هم أصحاب الأعمال الناجحة، وهم أصحاب الانتصارات العظيمة، وهم الذين يفوزون بكل خير، انظر إلى وثبة الصحابي الجليل عكاشة بن محصن رضي الله عنه وما نتج عنها من فوز عظيم حققه جرأء روحه السبابة، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمْرُونَ مَعَهُمُ الرُّهْطَ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأَفْقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ مَلَأَ الْأَفْقَ، قِيلَ: هَذِهِ

أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب» ثم دخل ولم يبين لهم، فأفاض القوم، وقالوا: نحن الذين آمنّا بالله واتبعنا رسوله، فنحن هم، أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام، فإنّا ولدنا في الجاهلية، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخرج فقال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون». فقال عكاشة بن محصن: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «نعم» فقام آخر فقال: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»^(١).

وفي رواية: «فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يجعلني منهم، قال: «اللهم اجعله منهم». ثم قام إليه رجل آخر. قال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»^(٢).

كانوا رضي الله عنهم أصحاب همم سبّاقة إلى كل خير، يقول كعب بن مالك رضي الله عنه وهو يصف

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

(٢) متفق عليه.

مسابقتهم لبشروه بتوبة الله عليه، قال كعب: فأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، ن وذهب قِبَل صاحبَيَّ مبشرون، وركض إليَّ رجلٌ فرسًا، وسعى ساعٍ من أسلم وأوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى نزعَت له ثوبيَّ فكسوتهما إياه ببشارته. والله ما أملك يومئذٍ غيرهما»^(١).

هؤلاء هم أصحاب محمد ﷺ.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

إذا جمعتنا يا جرير المجامع

سبق المفردون:

ويذهب أقوام أصحاب هَمَمٌ تحاكي الجبال
الراسيات في المسابقة على طريق الجنة يشكون إلى
رسول الله ﷺ سَبَقَ إخوانهم من أصحاب الأموال لهم
بما يبذلونه من صدقات يُكفكون بها دموع إخوانهم

(١) (متفق عليه) جزء من حديث كعب في قصة الثلاثة الذي خَلَفُوا.

من الفقراء والمُعوزين فقالوا يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، قال: وما ذاك، قالوا: يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق. قال: «أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتكم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم، تُسَبِّحُونَ وتُكَبِّرُونَ وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»^(١).

فالمداومة على الذكر والأوراد من أكبر الزاد الذي يتقوى به الإنسان على دخول السباق، وقد أخبر النبي ﷺ أن الذاكرين الله كثيراً والذاكرات هم السابقون في الميدان ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يُقال له جمدان، فقال: «سيروا هذا جمدان سبق

(١) «صحيح مسلم» كتاب الصلاة (٩٥/٥).

المفردون»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»^(١).

ذلك بما يحمله ذكر الله للعبد من رضى الرحمن، وطرد الشيطان وكسب الوجه المهابة والحلاوة والنضارة، وإزالة الهم والغم عن القلب وجلب الفرح والسرور والبسط له الشيء الكثير، وهذا من أعظم الأمور التي تقوي البدن والقلب والروح، فإذا فقدته العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليّ وقال: (هذه غدوتي، ولو لم أتغدّ هذا الغداء سقطت همتي)، وعَلِمَ الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدرأً،

(١) «صحيح مسلم» كتاب الذكر (٢٦٧٦).

وأقواهم قلباً، وأسرَّهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضائق بنا الأرض، أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحاً وقوة و يقيناً وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها^(١).

و«الذكر يسيِّر العبد وهو قاعد على فراشه، وفي سوقه، وفي حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذته، ومعاشه وقيامه وقعوده واضطجاعه وسفره وإقامته، فليس في الأعمال شيء يعم الأوقات والأحوال مثله، حتى إنه يسيِّر العبد وهو نائم على فراشه، فيسبق القائم مع الغفلة، فيصبح هذا النائم وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه، ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقية الركب، وذلك فضل الله يؤتيه

(١) «الوابل الصيب» (٨٥، ٩٧).

من يشاء»^(١).

أمة السبق:

وهذه الأمة هي أمة السبق، فهي «أسبق الأمم خروجاً من الأرض، وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف، وأسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط، وأسبقهم إلى دخول الجنة، فالجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمة محمد ﷺ»^(٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق»^(٣).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أيضاً: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل

(١) المصدر السابق (٩٩).

(٢) «حادي الأرواح» ابن القيم، الباب (٢٦).

(٣) «صحيح مسلم»، كتاب الجمعة (٦/٣٨٢).

الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»^(١).

وعند البخاري: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة...» الحديث.

سبقيّة أمة الإسلام في الأجر على باقي الأمم رغم قصر عمرها:

ففي صحيح البخاري من حديث عبدالله بن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أُعطيَ أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أُعطيَ أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا بها حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أُعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين، قال أهل التوراة: ربنا هؤلاء أقل عملاً وأكثر أجراً، قال: هل ظلمتكم من أجركم من شيء، قالوا:

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

لا. فقال: فذلك فضلي أوتيهِ من أشياء»^(١).

قال ابن حجر: «حكى ابن القيم... ذلك مثل المسلمين الذين قَبِلُوا هدى الله وما جاء به رسوله ومثل اليهود والنصارى تركوا ما أمرهم الله، (واستدل به على أن بقاء هذه الأمة يزيد على الألف لأنه يقتضي أن مدة اليهود نظير مدتي النصارى والمسلمين فقال)، وقد اتفق أهل النقل على أن مدة اليهود إلى بعثة النبي ﷺ كانت أكثر من ألفي سنة، ومدة النصارى من ذلك ستمائة، وقيل أقل فتكون مدة المسلمين أكثر من ألف قطعاً، وتضمن الحديث أن أجر النصارى كان أكثر من أجر اليهود؛ لأن اليهود عملوا نصف النهار بقيراط والنصارى نحو ربع النهار بقيراط... وفي الحديث تفضيل هذه الأمة وتوفير أجرها مع قلة عملها»^(٢).

سبقها بإعطائها ليلة القدر:

ومن خيرية أمة السبق أنها أعطيت ليلة القدر، قال

(١) «صحيح البخاري»، كتاب التوحيد (٦/٢٧١٦).

(٢) المصدر السابق.

تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (١)، قال المفسرون: أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

وقد قيل: أن النبي رأى أعمار أمته قصيرة، فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم. فليلة واحدة أعطيتها أمة محمد خيراً من عبادة ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، فهي تدرك بها من سبقها، بل وتسبقهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وادخار يوم الجمعة لها:

وأيضاً ادّخر الله - تبارك وتعالى - لهذه الأمة يوم الجمعة بما فيه من الفضائل والأجر والثواب العظيم ففي الصحيح من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما طلعت الشمس، ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة، هدانا الله له، وضل الناس عنه، والناس

(١) سورة القدر، الآية: (٣).

لنا فيه تبع، فهو لنا، واليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد»^(١).

وفي لفظ: «ذخره الله لنا».

بما فيه من تكفير السيئات، وعظم أجر الماشي فيه إلى الصلاة، وفيه ساعة إجابة، وتضاعف فيه الصدقة، إنه خير أيام الأسبوع، وقد جمع الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ ثلاثاً وثلاثين فائدة ليوم الجمعة، أودعها كتابه «زاد المعاد».

ومن فضائل هذه الأمة وسبقها الأمم ما يُدخر من الأجر ومغفرة الله لعباده المؤمنين بعد أداء العمرة ويوم عرفة وصيام رمضان وعشر ذي الحجة، كل هذا من فضائل هذه الأمة وخيريتها وسبقها لباقي الأمم.



(١) «صحيح ابن خزيمة»، كتاب الجمعة (٣/١١٤).

المكروه من التنافس والتسابق على زهرة الحياة الدنيا والتحذير من ذلك

كلمة لابدّ منها:

أنه مع كل هذا الفضل، وهذا الخير الكثير الذي أدّخره الله - تبارك وتعالى - لأمة الإسلام في الآخرة، ومع كل هذه النصوص السابقة من الكتاب والسنة وفعل النبي ﷺ وإقراره والأمثلة الحية من فعل الصحابة رضي الله عنهم والتي تُشعل في دماء المسلم روح الغيرة للمسارعة والمسابقة المشروعة في كل مجالات الحياة - عدا المكروه منها والذي سنبيّنه لاحقاً - مع كل هذا فإن قلب المسلم الغيور يقطر مرارة وهو يُشاهد أمة السبق في عالم الغيب أصبحت في ذيل الأمم في عالم الشهادة، وأن أبناءها الذين يملكون هذا الخضم الزاخر من المحفّزات الشرعية للأخذ بأسباب التقدم والرقي، أصبح أكثرهم - إلا ما رحم الله - هم أكثر أبناء أمة الأرض رضاً بالقعود والدعة والكسل وانطفاء روح

الطموح في نفوسهم.

لقد دُهشت - كثيراً - وأنا أقرأ كتاب (ستيفن كوفي) «العوادات السبع لإعداد القادة الإداريين»، وركبني الهم حينما رأيته يقرر في كتابه، أن العادة الأولى لإعداد القائد الإداري الناجح هو «كن سَبَّاقًا».

حينها تأكد لديّ ما قرأته سابقاً عن المهمة الأساسية للمجموعات الجوالّة التي عُرِفَت باسم المستشرقين في ديار الإسلام، وهي البحث والتنقيب عن كتب ومخطوطات المسلمين التي حوت علومهم وسجلت تقدمهم في جميع المجالات، سواء كانت علوم الشريعة وأخلاقها الفاضلة ومبادئها السامية، أو علوم تجريبية كالطب والكيمياء والصناعات وغيرها، ثم قاموا بنهب كل ما وقعت عليه أيديهم من هذه الكتب وتلك المخطوطات، ونقلوا هذه النفائس إلى بلادهم، وعكفوا على دراستها بجد ومثابرة واستخلصوا منها ما ساعد الغرب على ما وصلوا إليه من تقدم حضاري وتكنولوجي، إنهم قرأوا ففهموا، ثم طبّقوا ما فهموا، وهذا هو سرُّ التفوق إنه التطبيق (تحويل العلم إلى

عمل).

هنا يتوقف السباق وَيُزَفَع كَرَفَعِه عن بطن عرنة فقد قال النبي ﷺ «عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة»^(١).

ففي التنافس على الدنيا يرفع السباق؛ لأنه يُضْبِح من السباق المكروه ومن التنافس على زهرة الدنيا.

روى الشيخان في صحيحيهما من حديث عمر بن عوف الأنصاري وهو حليف لبني عامر بن لؤي وكان شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ، أخبره أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فَسَمِعَت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدِمَ بشيء

(١) «موطأ مالك» (٨٦٤)، وصحيح ابن خزيمة وغيره.

من البحرين»، فقالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا، وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تُبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟» قال عبدالرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله. قال رسول الله ﷺ: «أوغير ذلك، تنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض»^(٢).

وعند البخاري من حديث عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلّى على أهل أحدٍ صلاته على

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٦٢).

الميت، ثم انصرف على المنبر فقال: «إني فرطكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض - وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكنني أخاف عليكم بأن تنافسوا فيها»^(١).

فهذه ثلاثة أحاديث من الصحيحين تُخبر بأن النبي ﷺ خشي علينا من انبساط الدنيا: أي وفرة المال وكثرته وحصول الغنى.

فيا سبحان الله! إنَّ وفرة المال وكثرته هو من زهرة الحياة الدنيا، وإِنَّه من النعم التي ينعم الله بها على العبد، فهل تعود هذه النعم نقمة وهلاكاً للعبد؟

نعم، إذا حصلت الفتنة به، وبات وأصبح همُّ الرجل جمعَ المال والاستكثار منه والمباهاة به، حينئذٍ ينافس عليه غيره ويحسده بل ويقا تل من أجله، فلا تَهْمُه الوسيلة ولا يبالى بها هل هي غش واحتيال وكذب أو هي ربا أو سرقة وخيانة؛ لأن الغاية هي

(١) «صحيح البخاري» (٦٤٢٦).

المال وتحصيله فلا يهم أَمِنْ حلال أم حرام؛ لأن الهدف سيطر عليه، فتحصل الهلكة والبوار والخذلان.

إذا كان هذا حال المال مع العبد، فمتى يكون نعمة من النعم التي يؤجر عليها العبد؟
هنا يأتي دور «النية».

نية الاحتساب عند جمعه إذا تحققت الشروط التالية:

١ - تبيت النية عند تحصيل المال، كإعفاف النفس والأهل، وصيانة الوجه والعرض والادخار لحوادث الزمان، والتوسعة على الإخوان، وإغناء الفقراء، وفعل المصالح، وغير ذلك من وجوه الخير والبر والإحسان.

٢ - أن يكون المال المجموع من طريق حلال ولا شبهة فيه.

٣ - أن لا يقف حائلاً بين المرء وأداء واجب من الواجبات عليه.

٤ - أن يوازن المرء بين أمور دينه ودنياه، فلا يصرف كل أوقاته وجل عُمره يلهث خلف المال

وتحصيله .

إذا توافرت هذه الشروط - وهو المطلوب - «فنعم المال الصالح مع العبد الصالح» كما قال النبي ﷺ لعمر بن العاص رضي الله عنه، وقال لسعد: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» ودعا لأنس وكان في آخر دعائه: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه»، وقال لكعب بن مالك حينما أراد أن ينخلع من ماله حين تاب الله عليه: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»، وهذه الأحاديث كلها أحاديث الصحيح.

بل أثر عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قوله: لا خير فيمن لا يطلب المال يقضي به دينه، ويصون به عرضه، ولما مات خلف رضي الله عنه أربعمئة دينار، وخلف عبدالرحمن بن عوف أموالاً قُسمت بالفؤوس، وخلف سفيان مائتي دينار، وقال إخوة يوسف: ﴿وَنَزَدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾، وقال شعيب عليه السلام: ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾، وقال أيوب عليه السلام: ﴿حِينَمَا خَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ السَّقْفِ: «لا غنى لي عن

فضلك».

والأدلة على ذلك أكثر من أن يحصيها العاد، فانظر إلى النية كيف حولت المال من نقمة إلى نعمة والعكس.

ومما يزيد الأمر جلاءً ووضوحاً ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض» قيل: وما بركات الأرض؟ قال: «زهرة الدنيا»، فقال له رجل: هل يأتي الخير بالشر؟ فصمت النبي ﷺ حتى ظننت أنه يُنزلُ عليه، ثم جعل يمسح عن جبينه فقال: «أين السائل؟» قال: أنا، قال أبو سعيد: لقد حمدناه حين طلع لذلك. قال: «لا يأتي الخير إلا بالخير»، إن هذا المال خضرة حلوة، وإن ثم ما أنبت الربيع يقتل حَبَطاً أو يُلِمُّ إِلَّا آكِلَةُ الخضرة أكلت حتى إذا ما امتدت خاصرتها استقبلت الشمس فاجترت وثلطت وبالت، ثم عادت وأكلت، وإن هذا المال حلوة من أخذه بحقه ووضعته في حقه فنعم المعونة هو، وإن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا

يشبع»^(١).

نعم «لا يأتي الخير إلا بالخير» قال ابن حجر: (وفي رواية هلال «أنه لا يأتي الخير بالشر» ويؤخذ منه أن الرزق ولو كثر فهو من جملة الخير، وإنما يعرض له الشر بعارض البخل به عمن يستحقه والإسراف في إنفاقه فيما لا يشرع)^(٢).

ثم ضرب النبي ﷺ بذلك مثلاً بأكلة الخضر من الماشية التي أكلت منه حتى امتدت خاصرتها وهما جانبي بطنها فاجترت: أي استرفعت ما أدخلته في كرشها من العلف، وثلطت: أي: تحيلت في دفعه بأن تستقبل الشمس فتحمي عليها فيسهل خروجه، فإذا خرج زال الانتفاخ وسلمت، أما إذا لم تتمكن من إخراجه فإن الانتفاخ يقتلها سريعاً، لأن الماشية إذا رعت الخضر للتغذية إما أن تقتصر منه على الكفاية، وإما أن تستكثر.

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري (٦٤٢٧).

(٢) «فتح الباري» (٢٤/١٣).

حباً له، وذلك يقتضي منعه من مستحقه فيكون سبباً
لعقاب مقتنيه.

ثامنها: تشبيه أخذه بغير حق بالذي يأكل ولا
يشبع^(١).

«أمّا من أخذه بحقه ووضعه بحقه فنعم المعونة
هو».

* * *

(١) المصدر السابق.

المسابقة إلى ما فيه سعادة المسلم في الدنيا والآخرة

إذا تعذرت فرص العمل لديك، فلا تلقِ على المجتمع لائحة قعودك وابدأ بنفسك، إذا لم تجد الانسجام في العمل فلا تنعَ على زملائك وابدأ بنفسك، إذا كنت دائم الشكوى من سلبات تجدها في المنزل فدع التشاكي عن الزوجة جانباً وابدأ بنفسك. إن نقطة الانطلاق تبدأ من عندك أنت، فالحل لديك لا يتعداك، لا تنظر حولك قم وابدأ السباق.

لقد أرشد النبي ﷺ من تسلط عليه الشيطان وأفرعه في منامه بأن يذكر الله - عز وجل - ثم يتفل عن يساره، ثم يتحول إلى الجهة الأخرى غير الجهة التي تسلط عليه الشيطان منها، فلماذا لا تبدأ الآن وأنت في اليقظة وتنطلق باسم الله فتحدث تحولاً في حياتك إلى الأفضل، فتجني ثماره أنت وأهلك ومجتمعك؟

إِنَّ مَنْ الخطأ البين الذي يقع فيه الكثير منا أنه إذا استمع إلى موعظة في المسجد تحث على التوبة -

مثلاً - انقدح في ذهنه أن الأمر يخص غيره، فهو متعلق بأرباب المعاصي والكبائر، مما يترتب عليه أن يستمع إلى الموعظة بلسانه لا بقلبه وأذنيه، أي بمعنى أن يراجع الأدلة مع المتحدث في نفسه. ويتمنى في نفسه أن لو قال المتحدث كذا أو سكت عن كذا، ثم يقوم بتقييم المتحدث وإصدار الحكم على الكلمة ومدى تأثيرها على الحضور، كأن الأمر لا يعنيه هو لا من قريب ولا من بعيد.

إن معنى أن تبدأ بنفسك في مثل هذه الحالة، هو أن تدعو لهذا الأخ بالتوفيق والسداد على كل حال، مع التماس العذر له في حال التقصير، ثم ينبغي أن تعلم أنه أفضل حالاً منك إذ جلست، ثم وهو الأهم أن تسارع وتسابق حال خروجك من المسجد إلى تنفيذ لوازم هذه التوبة من تغيير وتبديل في حياتك، فتخرج إلى الشارع غاضباً للبصر، ثم تأخذ في الاستغفار إلى ما شاء الله، ثم إن كنت تعلم من حالك - أن هناك في سوقك أو متجرك أو مكتبك أو منزلك أو بيتك - ما يُستوجب التوبة منه أن تبادر إلى التخلص منه مع التوبة

إلى الله - تبارك وتعالى - واستشعار الندم والعزم الصادق على عدم العودة إلى هذا الذنب أبداً، وهذا هو عين ابدأ بنفسك.

الكثير منا يستمع إلى موعظة عن الخشوع في الصلاة واستحضار القلب - مثلاً - ثم ما إن تُقام الصلاة، حتى يُنصب جسده في الصف ثم يطلق قلبه وروحه خارج جسده ليقودهما الشيطان إلى ما أهّمه وأشغل باله من أمور الدنيا، سواءً في دراسته، أو متجره، أو بيته، أو... غير ذلك.

إن معنى أن تبدأ بنفسك في هذه الحالة أن تستحضر قلبك وتجمع أمرك وتُخشع جوارحك وتستحضر عظمة من ستقف بين يديه، فإذا غفلت أثناء الصلاة فاعمل بالهدي النبوي في ذلك.

وعلى هذا فقس أمورك كلها؛ فإذا عملت بهذا وبدأت نقطة الانطلاق من نفسك أحدثت تحولاً شاملاً في حياتك، وحققت النجاح والسعادة المرجوة، فتجني ثمارها أنت وأهلك ومجتمعك. فهيا الآن قُم و(ابدأ بنفسك).

المسابقة إلى سوق العمل!

لا عزة بغير قوة، ولا قوة بغير عمل، هذه حقيقة لا ينبغي أن تغيب عن بالك في داخل هذا الميدان.
قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِينَ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَشَرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢)

والآية مطلقة الدلالة فهي تشمل جميع الأعمال، كالأعمال الصالحة من العبادات، والأعمال المباحة كالصناعات وغيرها.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، سئل النبي ﷺ عن

(١) سورة الجمعة، الآية: (١٠).

(٢) سورة التوبة، الآية: (١٠٥).

أطيب الكسب، فقال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»^(١).

وفي حديث المقداد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده».

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «أن داود كان لا يأكل إلا من عمل يده»^(٢).

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»^(٣).

وعنه ﷺ قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى»^(٤).

(١) «مسند أحمد» (٢/٣٣٤).

(٢) «البخاري» (٩/٣).

(٣) «البخاري» (٢/١٢٩).

(٤) «البخاري» (٣/٢٩٤).

وقد رأى عمر رضي الله عنه أناساً من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: بل أنتم المتأكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض ويتوكل على الله^(١).

وعن صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل أنه سأل أباه رَحِمَهُمُ اللَّهُ عن التوكل، فقال: «التوكل حسن، ولكن ينبغي للرجل أن لا يكون عيالاً على الناس، ينبغي أن يعمل حتى يُغني نفسه وعياله، ولا يترك العمل» قال: وسئل أبي رَحِمَهُمُ اللَّهُ وأنا أشاهد عن قوم لا يعملون، ويقولون: نحن متوكلون، فقال: «هؤلاء مبتدعة». وقيل لأبي عبدالله رَحِمَهُمُ اللَّهُ: إن ابن عيينة كان يقول: «هؤلاء مبتدعة» فقال أبو عبدالله أحمد بن حنبل: «هؤلاء قوم سوء يريدون تعطيل الدنيا»^(٢).

فينبغي عليك أن تسارع إلى العمل المباح الحلال الذي يضمن لك ولأسرتك حياة عزيزة كريمة مع شرط

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي (١٠٦/١).

(٢) «تلبس إبليس» (٢٨٤).

عدم التنافس والمحاسدة على زهرة الحياة الدنيا.
(بطن عرنة).

(أهمية العمل عند المسلمين:

تتباهى الأمم في إتقان عملها ورفعة كفاءة عمالها،
وتبذل الجهود الواسعة تلو الجهود لرفع مستوى
القدرات العمالية لتصل بها إلى أعلى الدرجات في
مقاييس التقنية والهندسة، طلباً للتميز في إنتاجها،
وحسن السمعة والرفعة لها لدى الآخرين، وإذا كان
الأمر كذلك لدى الأمم الكافرة، فالأمر عند المسلمين
أهم وأخطر، حيث إن ثمرات العمل لديهم لا تقف
عند حد مصالح المعاش والرفاه في الحياة الدنيا، بل
تتعداه إلى طلب ثمرات الدار الآخرة ونعيمها، يؤكد
هذا الأمر أنه قد لا يكون للمسلم الخيار في العمل
وعدمه، حيث يتعين عليه العمل أحياناً لأسباب ثابتة أو
طارئة بينها ما يأتي:

أولاً: أمة المسلمين أمة واحدة دون الناس، وعلى
الأمة الواحدة أن تنتج ما يسد جميع احتياجاتها في
سلمها وحربها.

ثانياً: تقاتل الشعوب الكافرة كافة المسلمين كافة قتالاً لا ينفك أبد الأبدين إلا أن يخرج المسلمون عن دينهم، حسداً على ما آتاهم الله من فضله، فعلى المسلمين أن يقاتلوهم كافة كما أمر الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾^(١)، وكما يخبر سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾^(٢).

وقتل المشركين كافة يحتاج إلى عدة وعتاد، ولن تكون عدة وعتاد إلا بعمل جاد.

ثالثاً: يأكل المسلم ويشرب ويلبس بموجب ضوابط شرعية لا يجوز تخطيها، وبناءً عليه فعلى المسلم أن يصنع طعامه وشرابه ولباسه بنفسه ليحتكم في مركباته وفقاً لما يحل ويحرم.

رابعاً: إذا لم يعمل المسلم فسيضطر إلى استعمال غيره ممن لا يصح استعمالهم، فيكون به ضياع الدين

(١) سورة التوبة، الآية: (٣٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢١٧).

والدنيا، والأمة.

خامساً: العمل لدى المسلمين ضرورة لتقوية الأبدان من أجل الدربة على التحمل والصبر، ومجابهة الأعداء وتحمل شدائد الدهر، وإقامة أمر الله على وجه الأرض.

وبهذا يتبين عظيم شأن العمل، وأهميته عند المسلمين، وحياة المسلم وحده يمكن أن تكون كلها عمل، ولا يقع فيها فراغ قط، لأنه لا حدود للعمل في الإسلام، حيث يكون العمل بالأركان، ويكون باللسان، ويكون بالفكر والعقل والجنان، ويكون بالبنان، وقد يكون بالراحة التي يطلب بها المسلم التقوي على أمر الله، هذا هو الأصل في حياة المسلم، وما ينبغي أن يكون عليه، وإن لم يكن الأمر كذلك في واقع الناس^(١).

هذا ما قاله الدكتور/ سليمان بن إبراهيم بن ثنيان في بحثه عن العمل وأحكامه، أثرت أن أنقله بتمامه لفائدته.

(١) «مجلة البحوث الإسلامية» (٦٢).

المسابقة إلى ما فيه عز الإسلام وتفوق المسلمين

ولن يتحقق لنا هذا مهما ركضنا شرقاً وغرباً إلا بالرجوع الصادق إلى كتاب الله - تبارك وتعالى - وسنة نبينا محمد ﷺ، وما أحوجنا إلى ذلك في هذا الوقت وبصورة عاجلة جماعات وأفراداً، ثم بالعمل الجاد لتحقيق التقدم لهذه الأمة.

متى نفيق؟ سؤال، الإجابة عليه ثمرة المذاق.

كم بكينا على سقوط قرطبة وطليلة وبلنسية وأشبيلية وغرناطة في أيدي الأسبان، وكم نعينا على أهلها انغماسهم في الترف والشهوات والملذات وبعدهم عن كتاب ربهم حتى دهمهم ما وصفه أبوالبقاء الراوندي في قصيدته المشهورة.

لقد صور حالهم وما كانوا عليه من الفسوق والعصيان الرسالة التهكمية التي أرسلها الفونسو السادس إلى المعتمد بن عباد قبل معركة الزلاقة والتي يهدده ويتوعده فيها بأنه لن يتركهم، قال قبحه الله:

(كيف أترك قوماً مجانين تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمرائهم: المعتضد والمعتصم والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون، وكل واحد منهم لا يسئل في الذب عن نفسه سيفاً، ولا يرفع عن رعيته ضيماً ولا حيفاً، قد أظهروا الفسوق والعصيان، واعتكفوا على المغاني والعيدان، وكيف يحل لبشر أن يقر منهم على رعيته أحداً، وأن يدعها بين أيديهم شداً^(١)).

ألا ما أبلغ قول الحسن بن رشيق:

مما يزهديني في أرض أندلس

سماع معتصم فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها

كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

ويدهم هذا الصليبي الحاقد - عليه من الله ما

يستحق - مدينة سرقسطة فيرسل أهلها وقاضيتها وأعيانها

رسالة تهز الوجدان وتذيب الصخر يطلبون من إخوانهم

(١) «الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس» د. محمد ماهر حمادة.

المسلمين حمايتهم وإنقاذهم، وكان مما جاء فيها:
«نحن في كرب عظيم وجهد أليم، قد جل العز
والخطب، وأهلنا إلى الهلاك والعطب، فيا غوثاه ثم يا
غوثاه إلى الله، ويالله ويا للإسلام، لقد انتهك حماه،
وفضت عراه... ويا حسرتا على حضرة قد أشفت
على شفى الهلاك، طالما عُمرت بالإيمان، وازدهت
بإقامة الصلوات وتلاوة القرآن، ترجع مراتع الصلبان
ومشاهد ذميمة لعبدة الأوثان، ويا ويلاه على مسجد
جامعها المكرم، وقد كان مأنوساً بتلاوة القرآن العظيم
تطوئه الكفرة الفساق بذيَم أقدامها ويؤملون أن يدنُسوه
بقبيح آثامها، ويعمّروه بعبادة أصنامها، ويتخذوه
معاطن لخنازيرها، ومواطن لخماراتها ومواخيرها، ثم
يا حسرتاه على نسوة مكنونات عذارى يُعدن في أوثاق
الأسارى.. فإلى الله المشتكى، ثم إلى ولي عهد أمير
المسلمين المرتضى^(١).

(١) المصدر السابق، (٣٠٦).

وتذهب صيحات القاضي الشجاع مهب الرياح،
وتترك سرقسطة تواجه مصيرها الرهيب فيحتلها
الفونسو.

واليوم يتحدر علينا أعداء الله من كل حذب
وصوب، يصيحون صيحة رجل واحد: أعل هبل، فهل
من مجيب؟

كنا نسمع ونقرأ حديث النبي ﷺ: «يوشك أن
تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»
قالوا: أمن قلة بنا يومئذ يا رسول الله؟ قال: «لا. أنتم
يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل»^(١)، وكنا نظنه
يخص فترة زمنية معينة، أمّا اليوم فنشاهد هذه النبوة
ونراها رأي العين بصورة واضحة لا لبس فيها ولا
تشويش، نشاهد تداعي إخوان القردة والخنازير على
قصعة الإسلام في فلسطين، وتداعي عباد البقر على
طرفها الآخر في الهند، وتداعي الشيوعيين على طرفها
الثالث في الشيشان والجمهوريات الواقعة تحت حكم

(١) «مسند أحمد» (٨٤٩٦).

روسيا، أما أهل الصليب فأبوا إلا أن يستأثروا لأنفسهم
بباقي القصعة خالصة لهم من دون أمم الأرض.

وعلى الرغم من عشرات الآلاف من الصفحات التي
سودها الغيورون من أبناء الإسلام - قديماً وحديثاً - في
التحذير من أفاعيل اليهود والنصارى - معاً - في الكيد
والدس لأهل الإسلام بواسطة دغدغة الغرائز تارة، أو
بواسطة رأس الحربة التي غرزوها في جسد العالم
الإسلامي من مستشرقين وليبراليين تارة، أو بواسطة
إرساليات التنصير تارة أخرى، إلا أن تلك الصيحات
بدت خافتة التأثير في أبناء الأمة الذين انصرف جزء
ليس بالقليل منهم إلى الانغماس في لعق شهواتهم
وملذاتهم كما تلعبها أقل الحشرات، وجزء ثان أصغوا
إصغاءً دون المطلوب - والقليل - كما هي سنة الله في
خلقه - الذين بدّلوا من حالهم.

وعلى الرغم من كل هذه الكتابات المشكورة إلا
أنك لن تجد أبلغ ولا أصدق من وصف الله - تبارك
وتعالى - في قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ

تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ^(١)، هذا هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه وما سواه فمرفوض ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، فلا أنصاف حلول ترضيهم، ولن ترضيهم التنازلات، ولن يرضيهم التميع، ولن يرضيهم أي شيء ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، فالعداوة عداوة عقيدة فلا ينبغي أن تغيب هذه الحقيقة التي أخبرنا بها الخبير العليم عن البال حينما نتقي منهم تقاة، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾، يقول أهل اللغة: إن الفعل (لازال) من أفعال الاستمرار والدوام هي وأخواتها، ما برح وما فتئ وما انفك، فمتى كفَّ اليهود والنصارى عن قتالهم للإسلام والمسلمين؟! واقرأوا التاريخ فلن تجدوا فيما مضى منه أن اليهود والنصارى كفوا عن قتالهم للمسلمين، ولن يكفوا.

أما في حال تمكنهم - لا مكنهم الله - فيقول الله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً﴾^(٢).

(١) سورة البقرة، الآية: (١٢٠).

(٢) سورة التوبة، الآية: (١٠).

وانظر إلى ما فعلوه في المسلمين في أفريقيا، وفي البوسنة والهرسك، وفي صبرا وشاتيلا، وفي الفلبين، وفي أندونيسيا، وفي الشيشان، وفي أفغانستان، وفي فلسطين الجريحة، لماذا كل هذا التعصب ضد الإسلام؟ ولماذا كل هذا الحقد الأعمى ضد المسلمين؟ لأن (أي طفل في أوروبا المعاصرة بمسيحيته الكاثوليكية... وأي طفل في أوروبا المعاصرة يتعلم منذ أن يعي أنه مسيحي، وأنّ انتماءه للمسيح، ولأجداده الصليبيين من أمثال بطرس الحافي، وأوربانوس الثاني، وريتشارد قلب الأسد، ونابليون، ولورنس واللبي، ومونتجمري.

أي طفل في أوروبا يعرف أن وجوده وبقائه وكيانه وماضيه وحاضره ومستقبله مرهون بالبقاء في إطار المسيحية والكنيسة والعهد الجديد، ومحاربة الإسلام والمسلمين^(١).

(إن هذا الحقد قد وُلِدَ في نفوس الأوربيين في

(١) «مسلمون لا نخجل» د. حلمي القاعود.

طفولتهم الفكرية والحضارية، فلم تستطع فترة النضج التالية أن تمحوها من نفوسهم، لأن ما ينطبع في الطفولة يبقى عالقاً في النفس^(١).

إن الغرب الذي راح يتظاهر للعرب والمسلمين أنه ترك الدين منذ فترة! ولم يعد الدين هو الذي يحركه! إنما الذي يحركه هو «المصالح الاقتصادية» فقط لم يستطع أن يخفي روح الصليبية الكامنة في دمائه، والتي تتحرك هنا وهناك ضد الإسلام والمسلمين، لينسف بأفعاله ما يدعيه بأقواله.

فرحلة فاسكوا داجاما مثلاً - والتي مازلنا نُدرّسها لأبنائنا على أنها رحلة استكشافية لم تكن إلا رحلة صليبية محضة، فقد (قال بعبارة صريحة حين وصل إلى جزر الهند الشرقية بمعاونة الخرائط الإسلامية، ومعاونة البحار المسلم ابن ماجد - قال: الآن طوقنا رقبة الإسلام، ولم يبق إلا جذب الجبل، فيختنق ويموت)^(٢).

(١) «الإسلام على مفترق طرق» محمد أسد.

(٢) «هلم نخرج من ظلمات التيه».

فلا نستنكر ما يحدث ولا ننتظر إلا المزيد، لا يختلف في هذا. يهودي ولا نصراني، فقد تغلغل الكيان الصهيوني في المجتمع الغربي وتلبس به كتلبس الجنى ببدن الإنسى والنطق على لسانه، فإذا سمعت تصريحاً لأحد المسؤولين في إحدى الإدارات الغربية - أمريكا مثلاً أو بريطانيا - فاعلم أن اللسان لسان تلك الإدارة أما أصحاب التصريح الحقيقي فهم اليهود - قاتلهم الله - لأنهم سواء.

فما الحل؟

المسابقة إلى إعداد القوة:

والإجابة عن هذا السؤال لن تخرج عن قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (١).

فقد أمر الله المسلمين بإعداد أقصى الاستطاعة من

(١) سورة الأنفال، الآية: (٦٠).

القوة لإرهاب الكفار والمشركين، أعداء الله وأعداء المسلمين، وإرهاب المتربصين من المنافقين، فامثالاً لهذا الأمر يجب على المسلمين المسارعة والمسابقة إلى امتلاك آلات الإنتاج المتطورة وآلات الصناعات الثقيلة وتصنيع ما يضمن لهم الحياة الكريمة العزيزة بأيديهم، وشباب الأمة الإسلامية أولى من غيرهم بالسبقية في نقل التكنولوجيا الحديثة، وهي ضرورة حتمتها الظروف المعاصرة.

خذ مثلاً الزراعة في أكبر بلد إسلامي عربي وهي مصر، (فما زالت الأدوات الزراعية فيها أغلبها يدوية كالقصبابات، والمحراث، والطنبور، والنورج، والمذراة، وغابات الفؤوس المتحجرة، وكلها أدوات فرعونية عفا عليها الزمن، مازال الفلاح المصري يبذل عرقه، ولا نقول مع البعض يهدر آدميته، لاهثاً في الوحل خلف محراث يبلغ عمره أكثر من (٥٠٠٠) (خمسة آلاف سنة) حيث يقطع نحو (١٤) كم لكل فدان كما قُدِّرَ، بينما في الإمكان أداء العملية نفسها وهو جالسٌ فوق «جرّار زراعي» في نصف ساعة فقط.

وبُلغة الجيوش والحروب، يبدو أن الزراعة والفلاح المصري مازال في مرحلة «المشاة» ولم يتطور بعد إلى مرحلة «المدرعات والمجنزرات»^(١).

والشيء بالشيء يذكر، فلم تعد الحروب كذلك كالسابق تقابل الصفين بالسيوف والسهام والحرب تسبقه المبارزة، وتلعب شجاعة الرجال وثبات القلب ورباطة الجأش أكبر الدور في نتيجة الحرب، فأصبحت مع التقدم التكنولوجي يستطيع أجبن بشر على وجه البسيطة الآن أن يجلس على بُعد آلاف الأميال، وداخل غرفة مكيفة الهواء ويلمسه زر واحدة أن يبيد آلاف البشر، أو من داخل طائرة على ارتفاع شاهق يفعل نفس الفعل.

من أجل هذا يجب على أبناء المسلمين أن يسابقوا إلى دخول ميدان السباق وبقوة ليتداركوا ما فات وأن يضعوا في الاعتبار عدم الالتفات إلى من سبق (وإنه لمن هموم المسلمين وغمومهم أن لا يملكوا آلات

(١) «وصف مصر» جمال حمدان.

الإنتاج المتطورة وأن يلهثوا وراء الصناعات الغربية أو الشرقية، ليدفعوا لهم الأموال الطائلة مقابل أن يحصلوا منهم على معدات قد انتهى زمانها، وضاق بها أصحابها ويتمنون الخلاص منها، بأي سبيل، معدات لا تُعطى للمسلمين إلا بعد تكييلهم بشروط، وأي شروط؟ شروط تضمن الذل، واستمرار التخلف، والتبعية، وإن المسلمين بأموالهم الضاربة، وقدراتهم الواسعة، وخيرات بلادهم الوافرة، ودوافع العمل وأهدافه السامية لأولى الناس بامتلاك أقدر المعدات وأغلاها، تأسيساً وتطويراً، ولا عذر لهم بوجه، ولا حجة لهم في القعود دون هذا الواجب الذي يتعين على أهل القوامه منهم أن يتبنوه بقوة، ويفرضوه في كل حين، فالمسلمون يملكون - يقيناً - مقومات الصناعة الثقيلة، على اختلاف أنواعها، وأغراضها، وما ينقصهم سوى الجد والعزيمة، ووحدة الكلمة، ولو لم يملك المسلمون إلا المال وحده لانفتح لهم به ألف طريق بإذن الله تعالى، لتملك سر الصناعة المصنعة لآلات التصنيع (الصناعات الثقيلة) التي بها ترتفع الرؤوس،

ويُدحر الباطل ويحق الحق^(١).
فَمِنَ العار علينا - نحن المسلمين - أن نظل في ذيل
الأمم رغم ما نملكه من المقوّمات الماديّة والمعنويّة.
والله حسبنا ونعم الوكيل.



(١) «مجلة البحوث الإسلامية» عدد (٦٢)، د. سليمان بن إبراهيم بن
ثنيان.

عقبات في طريق السباق

وهذه بعض العقبات التي تعوق المتسابق وتؤخر من سيره فمنها:

- ١ - الفوضى وعدم التنظيم في أمور المرء:
وهو كفيل بأن يشعر بالإحباط واليأس، لأنك ترى المتسابقين قد قطعوا شوطاً بعيداً في الحياة وأنت مازلت تراوح مكانك، فيجب صياغة الأهداف بعناية ومن خلال خطة واضحة المعالم.
- ٢ - التهاون في استغلال الوقت وإهماله وتضييعه في التوافه من الأمور:

وما أصيب العاقل بمثل مصيبة ضياع الأوقات، لأن اللحظة التي تمر لن تعود أبداً، وكما ورد في الأثر أنه (ما من يوم ينشق فجره إلا ومناد ينادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد لا أعود لك إلى يوم القيامة فتزود مني بخير). فالعاقل يدرك أن الزمن هو أنفاسه التي تتردد، وأن الدقيقة إذا مضت وانقضت فهي

نقص من حياته كما قال الشاعر:

دقات قلب المرء قائمة له

إن الحياة دقائق وثوان

لذلك ينطلق العاقل في حياته مستثمراً لكل لحظة
منها أجدى وأفضل استثمار؛ لعلمه أن الله سيسأله عن
عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟

وما أعظم ما قاله أحد السلف لآخر حين دعاه إلى
بعض ما تضيع به الأوقات فقال له: أوقف الشمس
حتى استجيب لك.

والنفس إذا تعودت الحرص على الأوقات
واستغلالها فيما ينفع ويفيد دفعها ذلك إلى تنظيم جميع
أمور الحياة التي ظرفها الزمان، ولتكن حكمتك
(الوقت هو الحياة فلا تضيعها وساعد غيرك على
الاستفادة منها).

٣ - عدم التفريق بين الأهم والأقل أهمية:

إذ أن بعض الناس يشتغل بالكماليات والثانويات أو
المندوبات والمباحات، ويستنفذ وقته فيها، ويهدر
ويفرط في الضروريات والكليات والفرائض

والواجبات، فهو كمن بذل جهده واستفرغ وسعه وبذل ماله في اختيار ألوان منزله وقصر تقصيراً كبيراً في قواعد وأعمدة وجدران ذلك المنزل فآل به الأمر إلى أن انهدم المنزل على مَنْ فيه ولم ينفعه تزويق الألوان ولا بهارج الأصباغ. وهكذا حياة بعض الناس تجري وراء المظاهر الفارغة والمراءات الكاذبة والمناسبات والمجاملات، وإذا فتشت في حياتهم لتبحث فيها عن علم محقق أو عمل زاك مبارك أعوزك ذلك، وهؤلاء وإن عاشوا فترة من الحياة في غرور لكنهم يستيقظون إذا انصرفت عنهم الحياة ونسيهم الناس أوحلاً بهم الأجل وانتقلوا للدار الآخرة... وإن من المقاتل التي يرمي بها أهل الباطل أهل الجد والنشاط هو صرفهم عن العمل لمعالي الأمور إلى استغلال نشاطهم في صغائر الحياة فتتكاثر عليهم الصغائر وتتراكم في الانتظار الكبار فلا يكون إلا الفوضى والاضطراب.

٤ - سوء التوقيت في إنجاز العمل :

إمّا بتقديمه عن وقته المناسب أو تأخيره عنه، والله دَرُّ الصِّدِّيق حين قال في وصيته للفاروق رضي الله

عنهما: واعلم أن الله عملاً في الليل لا يقبله في النهار،
وأن الله عملاً في النهار لا يقبله في الليل.

٥ - عدم إكمال العمل:

فكثير من الناس تراه يمضي في أعمال ومشاريع
ويخطو خطواتها الأولى ثم تراه يتركها إلى غيرها قبل
اكتمالها، وهكذا إلى غيرها، فتنقضي أيامه في بذرٍ لا
يرى حصاده ولا يجني ثماره.

٦ - عدم ترتيب العمل عند تنفيذه وإنجازه ترتيباً منطقياً منظماً:

فبعض الناس ينطلقون إلى إنجاز العمل فلا يعرف ما
هو الأهم فيبدأ به فتراه يبدأ بالخاتمة قبل المقدمة،
وهذا يضطره إلى تكرار العمل الواحد أكثر من مرة
فيضيع الجهد والوقت سدى، ولو تريث قليلاً ورتب
لإعداد عمله ونظمه لما خسر من حياته ووقته وجهده
وإمكاناته، والسبب في ذلك الفوضى والعشوائية.

٧ - تنفيذ العمل بصورة ارتجالية:

وعدم التخطيط المحكم الدقيق له قبل إنجازهِ بوقت
كاف، وهذا من أهم أسباب عدم تنظيم الإنسان حياته

مما يعوقه في سيره ويؤخره في سباقه، إذ بالتخطيط يحدد الإنسان أهدافه من كل عمل يقوم به ووسائله لتحقيق تلك الأهداف وكيفية استغلال تلك الوسائل ومكان كل شيء من العمل، وصلى الله على مَنْ قال: «إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه»^(١).

* * *

(١) أبو يعلى «مسند عائشة» (٣٤٩/٧).

زاد السباق

وللسباقين إلى المعالي زاد يتزودون به كي يعينهم على المسابقة والمسارعة ويحملهم للفوز بخيري الدارين وهو ينقسم إلى قسمين: الأول: زاد روحي، والثاني: زاد بدني.

أولاً: زاد السباق الروحي:

أما هذا الزاد فقد سبق به أقوام، لم يوقف لهم على أثر، ولم يعلم المتأخر عنهم أين سلكوا؟ والمشمر بعدهم قد يرى آثار نيرانهم على بعد عظيم كما يرى الكوكب الدرّي في كبد السماء. نسأل الله أن يلحقنا بهم.

الصلاة وقيام الليل:

فهؤلاء أقوام: (إذا وضع أحدهم جنبه على شقه الأيمن مضجعا تعلّق قلبه بالله - عز وجل - ذاكراً له مسبحاً ومهللاً ومكبراً، واجتمع همه عليه متذكراً صفاته العُلى وأسماءه الحسنی، وقد تجلت على قلبه

أنوارها، فانصبغ قلبه بمعرفته ومحبتة، وسرث هذه المحبة في أجزاءه فلم يبق منها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله ذلك الحب، ثم يبيت في فراشه يتجافى عن مضجعه كما قال تعالى: ﴿لَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(١)، قد آوى قلبه إلى حبيبه ومولاه فأواه إليه، وقلبٌ هذا شأنه فيا له من قلب، من ربه ما أدناه، ومن قربه ما أخطاه، فهو ينزه قلبه أن يساكن سواه، أو يطمئن بغيره، فهؤلاء قلوبهم قد قطعت الأكوان لتسجد تحت عرش الرحمن وأبدانهم في فرشهم، كما قال أبو الدرداء: إذا نام العبد المؤمن عُرج بروحه حتى تسجد تحت العرش، فإن كان طاهراً أذن لها في السجود، وإن كان جنباً لم يؤذن لها بالسجود... فإذا استيقظ هذا القلب من منامه من الليل صعد إلى الله بحبه وأشواقه مشتاقاً إليه، طالباً له، محتاجاً إليه، عاكفاً عليه، وأول ما يجري على لسانه في سكون الليل ذكر محبوبه، والتوجه إليه،

(١) سورة السجدة، الآية: (١٦).

واستعطافه والتملق بين يديه، والاستعانة به أن لا يُخلى بينه وبين نفسه، وأن لا يكله إليها فيكله إلى ضيعة وعجز وذنب وخطيئة، وأول ما يبدأ به «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» متدبراً لمعناها من ذكر نعمة الله عليه بأن أحياه بعد نومه الذي هو أخو الموت وأعادته إلى حاله سوياً سليماً محفوظاً مما لا يعلمه ولا يخطر بباله من المؤذيات والمهلكات التي هو غرض وهدف لسهامها كلها تقصده بالهلاك أو الأذى والتي من بعضها شياطين الإنس والجن، فإنها تلتقي بروحه إذا نام فتقصد إهلاكه وأذاه، ولولا أن الله - سبحانه - يدفع عنه لما سَلِمَ. فمن ذا الذي كلاه وحرسه وقد غاب عنه حسه وعلمه وسمعه وبصره.

ثم يتفكر في أن الذي أعاده بعد هذه الإماته حياً سليماً قادراً على أن يعيده بعد موته الكبرى حياً كما كان. ولهذا يقول بعدها: «وإليه النشور». ثم يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله» ثم

يدعو ويتضرع .

ثم يقوم إلى الوضوء بقلب حاضر مستصحب لما فيه
ثم يصلي ما كتب الله له صلاة محب لمحبوبه متذل
منكسر بين يديه، لا صلاة مُدِلٍ بها عليه، يرى من
أعظم نعم محبوبه عليه أن أقامه وأنام غيره واستزاره
وطرد غيره، وَأَهْلَهُ وحرَمَ غيره فهو يزداد محبة إلى
محبه، ويرى أن قرّة عينه وحياة قلبه وجنة روحه
ونعيمه ولذته وسروره في تلك الصلاة، فهو يتملق فيها
مولاه تملق المحب لمحبوبه العزيز الرحيم . ويناجيه
بكلامه معطياً لكل آية حظها من العبودية فتجذب قلبه
وروحه آيات المحبة والوداد، والآيات التي فيها
الأسماء والصفات، والآيات التي تعرف بها إلى عباده
بآلائه وإنعامه عليهم وإحسانه إليهم، وتطيّب له السير
آيات الرجاء والرحمة وسعة البر والمغفرة فتكون له
بمنزلة الحادي الذي يطيّب له السير ويهوّته، وتقلقه
آيات الخوف والعدل والانتقام وإحلال غضبه
بالمعرضين عنه العادين به غيره المائلين إلى سواه،
فيجمعه عليه ويمنعه أن يشرّد قلبه عنه، ويعطي كل آية

حظها من عبودية قلبه الخاصة الزائدة على مجرد تلاوتها والتصديق بأنها كلام الله، بل الزائدة على نفس فهمها ومعرفة المراد منها.

فإذا صلى ما كتب الله له من الليل جلس مُطرقاً بين يدي ربه هيبة له وإجلالاً، واستغفره استغفار مَنْ قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه.

وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله - عز وجل - إلى سماء الدنيا لنصف الليل الآخر أو الثلث الآخر يقول: مَنْ ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر أو ينصرف القارئ من صلاح الصبح»^(١).

فإذا قضى من الاستغفار وطراً وكان عليه بعدُ ليلٌ اضطجع على شقه الأيمن مجماً نفسه مريحاً لها مقوياً لها على أداء وظيفة الفرض.

فيستقبله شيطاناً بجده وهمته كأنه لم يزل نائماً طول

(١) متفق عليه.

ليلته لم يعمل شيئاً، فهو يريد أن يستدرك ما فاتته في صلاة الفجر، فيصلّي السُّنَّةَ ويبتهل إلى الله بينها وبين الفريضة، فإنّ لذلك الوقت شأنًا يعرفه من عرفه، ويكثر فيه من قول: «يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت» فلهذا الذكر في هذا الموطن تأثير عجيب.

ثم ينهض إلى صلاة الصبح قاصداً الصف الأول عن يمين الإمام أو خلف قفاه، فإن فاتته ذلك قصد القرب منه مهما أمكن فإنّ للقرب من الإمام تأثيراً في سر الصلاة، ولهذا القُرب تأثير في صلاة الفجر خاصة يعرفه من عرف قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) (١)، قيل: يشهده الله - عز وجل - وملائكته، وقيل: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، فيتفق نزول هؤلاء البدل عن صعود أولئك فيجتمعون في صلاة الفجر، وذلك لأنها هي أول ديوان النهار وآخر ديوان الليل فيشهدها ملائكة الليل والنهار. فإذا فرغ من صلاة الصبح أقبل بكليته على ذكر الله

والتوجه إليه بالأذكار التي شرعت أول النهار فيجعلها ورداً له لا يخل به أبداً، ثم يزيد عليها ما شاء من الأذكار الفاضلة أو قراءة القرآن حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت فإن شاء ركع ركعتي الضحى وزاد ما شاء وإن شاء قام من غير ركوع.

ثم يذهب متضرعاً إلى ربه سائلاً له أن يكون ضامناً عليه متصرفاً في مرضاته بقية يومه، فلا ينقلب إلا في شيء يظهر له فيه مرضاة ربه، وإن كان من الأفعال العادية الطبيعية قلبه عبادة بالنية وقصد الاستعانة به على مرضاة الرب، فيقف عند أول الداعي إلى فعله، فيفتش ويستخرج منه منفذاً ومسلكاً يسلك به إلى ربه، فينقلب في حقه عبادة وقربة، وشتان كم بينها وبين من إذا عُرِضَ له أمر من أوامر الرب لا بد له من فعله فتش فيه على مرادٍ لنفسه وعرضٍ لطبعه، ففعل لأجل ذلك وجعل الأمر طريقاً له ومنفذاً لمقصده.

فسبحان من فاوت بين النفوس إلى هذا الحد والغاية، فهذا عباداته عادات، والأول عاداته عبادات. فإذا جاء فرض الظهر بادر إليه مكماً له ناصحاً فيه

لمعبوده كنصح المحب الصادق المحبة لمحجوبه الذي قد طلب منه أن يعمل له شيئاً ما. فهو لا يبقف مجهوداً، بل يبذل مقدوره كله في تحسینه وتزوينه وإصلاحه وإكماله ليقع موقعاً من محجوبه فينال به رضاه عنه وقربه منه.

ثم إذا جاء فرض العصر فهو يفعل مثل ذلك، وهكذا في جميع صلواته كلها، وهو ما بين ذلك في ذكر وتسبيح وتهليل وتكبير، قد سعى لإكمال العبودية لله ظاهراً وباطناً وبذل الجهد في فعله وموافقته، وفي كراهة ما كرهه وبذل الجهد في تركه^(١).

قراءة القرآن:

ثم هو له زاد يومي من كتاب الله تعالى يقرأه بتدبر وخشوع، فلا شيء أنفع للسائرین من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فيه، فهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر وسائر الأحوال التي بها حياة المرء وكماله،

(١) «طريق الهجرتين» ابن القيم (٣٢٥/١) بتصرف.

وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فالقراءة بالتفكير والتدبر هي صلاح القلوب واستقامتها، وقد قال ابن مسعود: لا تهذؤوا القرآن هذَّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، لا يكن هم أحدكم آخر السورة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً عن النبي ﷺ: «أن هذا القرآن جبل الله، النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه»^(١)، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في القرآن: «هو جبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد»^(٢).

(١) «سنن الدارمي» (٣١٩٧).

(٢) «سنن الترمذي» (٢٩٠٦).

وبالجملة: فهو أكبر الزاد للمتزودين في ميدان السباق.

الدعاء:

ثم هو قد ملأ كنيته بأسهم إذا أرسلها لم تكذب تخطئ مرماها ألا وهي أسهم الدعاء، فكم أصاب به المرسلون أكبداً لم تسلم بعدها أبداً، فمن جمع عليه قلبه وصدقت ضرورته وفاقته، وقوى رجاؤه فلا يكاد يُرد دعاؤه. فالسباق له زاد من الدعاء والتبتل والتضرع إلى خالقه ومولاه لا بد له منه، فهو سلاح المؤمن وعماد الدين، ونور السماوات والأرض.

ملازمة خشية الله:

ثم هو متحلّ بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى، محافظاً على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها والعمل بها والدعوة إليها، دالاً على الله بعلمه وسمته وعمله، متحلياً بصفات الرجولة والمساهلة، والسمت الصالح.

خَفَضَ الجناح ونَبَذَ الخيلاء والكبرياء:

ثم هو متحلّ بأداب النفس، من العفاف، والحِلْم،

والصبر، والتواضع للحق، وسكون الطائر من الوقار
والرزانة، وخفض الجناح.

القناعة والزهادة والتحلّ بالمروءة:

ثم هو متحلّ بالقناعة والزهادة، وحقيقة الزهد:
«الزهد بالحرام، والابتعاد عن حماه، بالكف عن
المشتبهات، وعن التطلع إلى ما في أيدي الناس».

ثم هو متحلّ بالمروءة، وما يحمل إليها من مكارم
الأخلاق، وطلاقة الوجه، وإفشاء السلام، وتحمل
الناس، والأنفة في غير كبرياء، والعزة في غير
جبروت، والشهامة في غير عصبية، والحمية في غير
جاهلية، متجنباً خوارم المروءة، كالعُجب، والرياء،
والبطر، والخيلاء، واحتقار الآخرين، وغشيان مواطن
الريب.

التمتع بخصال الرجولة:

متمتعاً بخصال الرجولة، من الشجاعة، وشدة البأس
في الحق، ومكارم الأخلاق، والبذل في المعروف،
حتى تنقطع دونه آمال الرجال.

هجر الترف:

ثم هو غير مسترسل في التمتع والرفاهية، فإن «البذاذة من الإيمان»^(١) ويكون عاملاً بوصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «... وإياكم والتمتع وزِي العجم، وتمعددوا، واخشوشنوا»^(٢).

مبتعداً عن زيف الحضارة (فإنه يؤنث الطباع، ويرخي الأعصاب، ويقيد بخيط الأوهام، ويصل المجدون إلى غاياتهم وأنت لم تبرح مكانك، مشغول بالتأنق في ملبسك... فخذ من اللباس ما يزينك ولا يشينك، ولا يجعل فيك مقالاً لقائل، ولا لمزاً للامز، وإياك ولباس التصابي.

فواأسفاه وواحسرتاه، لمن انقضى زمانه، ونفذ عمره، وخرج من الدنيا وما ذاق أطيب ما فيها، قلبه عن هذا محجوب ما شم له رائحة، فعاش كعيش البهائم، انتقل منها انتقال المفاليس، فكانت حياته عجزاً، وموته كمداً، ومعاده حسرة وأسفاً.

(١) «السلسلة الصحيحة» (٣٤١).

(٢) «الفروسية» لابن القيم.

هجر الترف:

ثم هو غير مسترسل في التمتع والرفاهية، فإن «البذاذة من الإيمان»^(١) ويكون عاملاً بوصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «... وإياكم والتمتع وزبي العجم، وتمعددوا، واخشوشنوا»^(٢).

مبتعداً عن زيف الحضارة (فإنه يؤنث الطباع، ويرخي الأعصاب، ويقيد بخيط الأوهام، ويصل المجدون إلى غاياتهم وأنت لم تبرح مكانك، مشغول بالتأنق في ملبسك... فخذ من اللباس ما يزينك ولا يشينك، ولا يجعل فيك مقالاً لقائل، ولا لمزاً للامز، وإياك ولباس التصابي.

فوالأسفاه وواحسرتاه، لمن انقضى زمانه، ونفذ عمره، وخرج من الدنيا وما ذاق أطيب ما فيها، قلبه عن هذا محبوب ما شم له رائحة، فعاش كعيش البهائم، انتقل منها انتقال المفاليس، فكانت حياته عجزاً، وموته كمدأ، ومعاده حسرة وأسفاً.

(١) «السلسلة الصحيحة» (٣٤١).

(٢) «الفروسية» لابن القيم.

شراً من بطن، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه،
فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه،
وثلث لنفسه»^(١).

٢ - تجنب التدخين فهو داءٌ قاتل، وهلاك محقق، ولا
يخفى ثبوت ضرره على ذي لب، ولنا [رسالة]^(٢)
لطيفة في التحذير منه سقنا فيها بالوثائق الصادرة
عن شركات التبغ والأدلة الشرعية والعقلية والنقلية
بما يغني عن تكرار الكلام].

٣ - الإقلال قدر المستطاع من استخدام المنبهات
كالقهوة والشاي.

٤ - تجنب الإكثار من تعاطي المسكنات والمهدئات
قدر المستطاع إلا لحاجة ملحة وباستشارة طبيب.

٥ - استخدم الطيب ما استطعت فهو غذاء الروح،
والروح مطية القوى، فهو ينفع الدماغ، ويُفرح
القلب، ويسر النفس، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال:

(١) «صحيح ابن حبان» (٦٧٤) وغيره.

(٢) باسم: «معشوفة الشيطان».

«حب إليّ من دنياكم ثلاث...»، ومنها الطيب. وكان لا يرد الطيب إذا أهدى إليه.

٦ - النظافة من أسباب حفظ الصحة في بدنك ومكانك، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «حقّ على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً، يغسل فيه رأسه وجسده»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفناءكم وساحاتكم، ولا تشبهوا باليهود تجمع الأكناف في دورها»^(٢).

٧ - التزم بأوامر الطبيب الثقة واعلم أنه ليس هناك علاج سحري لكل مرض، وعليه فلا بد من التكيف مع الأمراض، واحتساب الأجر في ذلك من الله سبحانه وتعالى.

(١) متفق عليه.

(٢) أبو يعلى (٧٩١).

غذاء السباق:

الطعام لمن يحمل أهدافاً ساميةً وسيلة وليس غاية،
أما الشهوانيون من البشر فإنهم يعيشون لكي ﴿يَتَمَنَّعُونَ
وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾. فعليك بما يلي:

١ - لا تأكل حتى تجوع: حكمة أجمع عليها
الأطباء قديماً وحديثاً، فليس هناك أضر على البدن من
إدخال طعام على طعام كما قال بهذا أهل الاختصاص،
قال ابن القيم: ومراتب الغذاء ثلاثة: أحدها: مرتبة
الحاجة، والثانية: مرتبة الكفاية، والثالثة: مرتبة
الفضيلة، فأخبر النبي ﷺ: أنه يكفيك لقيمات يقمن
صليبك، كي لا تسقط قوتك، ولا تصف معها فإن
تجاوزها: فكل في الثلث، ودع الثلث الآخر للماء،
والثالث للنفس، وهذا من أنفع ما للبدن والقلب.

٢ - لا تجمع متضادين من الطعام: لأن أنواع الطعام
المختلفة، تتطلب عصارات هضم مختلفة، وهذا ما لا
تستطيعه المعدة في وقت واحد؛ لأن العصارات
الهضمية منسجمة معاً، فعلى سبيل المثال: الطعام
البروتيني مع النشوي، يتسبب في تعسر الهضم،

وبالتالي تأخير، مما يجعله أرضاً خصبة لنمو البكتيريا، التي تقوم بتخميره وتحليله مما يؤدي إلى حدوث الغازات والانتفاخ، ومن أمثلة الجمع الخاطئ للطعام، اللحم مع البطاطس، والخبز مع الجبن، واللبن مع الحبوب، والسّمك مع الأرز.

إن مثل هذه الخلطات تتطلب أن يعمل الجسم عملاً إضافياً لهضم هذا الغذاء المخلوط بطريقة متضادة، مما يستهلك طاقة عصبية مضاعفة ويصيب المرء بالكسل، هذا ما أثبتته الأبحاث الحديثة^(١)، وهذا الذي أثبتته العلم الحديث، سبقهم إليه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بقرون عديدة وهو يصف هدي النبي ﷺ في الغذاء فقال: ومن تدبير أغذيته ﷺ، وما كان يأكله، لم يجمع قط بين لبن وسمك، ولا بين لبن وحامض، ولا بين مختلفين كقابض ومسهل، وسريع الهضم وبطيئه، ولا بين شوي وطبيخ، ولا بين طري وقديد، ولا بين لبن وبيض، ولا بين لحم ولبن، ولا شيئاً من الأطعمة

(١) انظر: «قدرات غير محدودة» أنتوني روبرتس ص (٢٣٧) وما بعدها.

فيكون تناوله من أسباب صحتهم وعافيتهم ويغني عن كثير من الأدوية، وقلّ من احتّمى عن فاكهة بلده خشية السقم إلا وهو من أسقم الناس^(١).

٤ - نوع طعامك بين كل وجبة وأخرى: واجعله مركزاً وأقلّ من تناول شيء بين الوجبات كالحلويات والسكريات المصنعة والمياه الغازية والمعلبات المحفوظة، وليكن طبق سلطة الخضروات الطازجة في مقدمة كل وجبة.

٥ - أكثر من شرب الماء النقي: إلا أثناء الأكل وبعده مباشرة وليكن لك على الريق كأساً ممزوجة بملعقة من عسل النحل دائماً، فلم يهتد لفائدتها إلا أفاضل الأطباء.

٦ - لا تُكره نفسك على تناول طعام تعافه نفسك ولو كان جيداً.

٧ - لا تتهاون في نظافة الطعام، فالطعام الملوّث سم ناعم.

ترتيب النوم:

وللجسد قسط من النوم للتزود من الراحة والاستجمام استعداداً للمسابقة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآيَاتُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾^(١).

واللنوم فائدتان جلیلتان:

إحداهما: سكون الجوارح وراحتها مما يعرض لها من التعب، فيريح الحواس من نصب اليقظة، ويزيل الإعياء والكلال.

والثانية: هضم الطعام، ونضج الأخلاط؛ لأن الحرارة الغريزية في وقت النوم تغور إلى باطن البدن، فتعين على ذلك، ولهذا يبرد أطرافه ويحتاج النائم إلى فصل دثار.

وهذه بعض القواعد في ترتيب النوم لحفظ البدن:

١ - نم مبكراً واستيقظ مبكراً: لن تجد أفضل من هذه القاعدة في الاستفادة من النوم، وقد ثبت علمياً أن ساعة من النوم في أول الليل تعادل ساعتين من

(١) سورة الروم، الآية: (٢٣).

آخره ولا يقوم مقامها نوم النهار بأكمله، فصلوات
 ربي وسلامه على من هديه أكمل الهدى وأتمه،
 ففي صحيح البخاري «أن رسول الله ﷺ كان يكره
 النوم قبل العشاء، والحديث بعدها»^(١)، وفي
 رواية أحمد: «ما نام رسول الله ﷺ قبل العشاء
 ولا سهر بعدها»^(٢)، وفي مصنف عبدالرزاق أن
 علي رضي الله عنه «كان يتعشى ثم ينام وعليه ثيابه
 قبل العشاء»^(٣).

٢ - أسوأ أوقات النوم نومة الصبحة: قال ابن القيم
 رَحِمَهُ اللهُ: ونوم الصبحة يمنع الرزق، لأن ذلك وقت
 تطلب فيه الخليفة أرزاقها، وهو وقت قسمة
 الأرزاق، فنومه حرمان إلا لعارض أو ضرورة،
 وهو مضر جداً بالبدن لإرخائه البدن، وإفساده
 الفضلات التي ينبغي تحليلها بالرياضة^(٤).

(١) «البخاري» كتاب مواقيت الصلاة (٥٤٣).

(٢) «مسند أحمد» حديث عائشة (٢٥٧٤٨).

(٣) «مصنف عبدالرزاق»، كتاب الصلاة، باب النوم (٢١٤٧).

(٤) «زاد المعاد» (٢١٩/٤).

٣- لا تنم فوق القدر المحتاج إليه البدن: ولا تمنع بدئك من هذا القدر، إلا ما كان لضرورة مرض أو غيره.

٤ - إن كانت لك عادة من قيلولة فأَمْضُها ولو يسيراً:
ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قد قال عند أم
حرام بنت ملحان الأنصارية زوجة عبادة بن
الصامت رضي الله عنها وقد عدد ابن حجر على
هذا كثير من الفوائد^(١).

٥ - لا تجعل لك عادات مستحكمة عند النوم: مثل مقدار الضوء، وقمة الهدوء، وطبيعة الفراش، بل حاول أن تكسب نفسك القدرة على النوم في أي ظرف كان.

ممارسة الرياضة:

لا يخفى ما للرياضة من فضل في حفظ حيوية الجسد، وقدرته على القيام بأعباء الحياة بجانب ما مضى من أمور، وهي وسيلة لحفظ الصحة وتنمية

(١) انظر: «فتح الباري» (١٠/٥٨٥).

القوة، قال ابن حجر - رحمه الله - في (باب السبق بين الخيل) ثم ساق الحديث بسنده، وقال: «وفي الحديث مشروعية المسابقة وأنه ليس من العبث بل من الرياضة المحمودة الموصلة إلى تحصيل المقاصد في الغزو والانتفاع بها عند الحاجة وهي دائرة بين الاستحباب والإباحة بحسب الباعث على ذلك»^(١).

فهي وسيلة وليست غاية يعادى من أجلها، ويوالى من أجلها.

* فاجعل لك جزء من وقتك في ممارسة الرياضة كالمشي أو الركض، وذلك يساعد على التنفس الجيد، لأن المشكلة تكمن في أن الكثير من الناس لا يعرفون كيف يتنفسون، مما يصيب الجسم بالكثير من الأمراض النفسية والعضوية، فالتنفس الجيد يمد الأوعية الدموية بالأكسجين اللازم والذي تقوم بنقله بدورها إلى جميع خلايا الجسم، ولن تجد شيئاً يجعلك تتنفس جيداً مثل التمرينات الرياضية.

(١) «فتح الباري» (٦/٧٢).

* ابدأ تدريجياً في ممارسة التمرينات حتى تصل في فترة الشهر مثلاً إلى ثلاثين دقيقة يومياً دون الشعور بالألم أو الإجهاد أو التعب، ثم ابدأ في بناء قاعدة صلبة على التدريب على لعبة محببة كالألعاب الدفاع عن النفس أو غيرها من الألعاب.

* لا بأس بتعلم السباحة، إذا تهيأت لك الفرصة، فهي من أمتع الرياضات وأفضلها.

* * *

الخاتمة

« لا تكن منبتاً »

هل تعرف المُنبت؟

هو رجلٌ أعطب مطيته من شدة السير عليها، فصار منقطعاً، فلا هو وصل إلى مقصوده ومبتغاه، ولا سلمت له دابته، فوقف كما (وقف حمار الشيخ في العقبة).

ما أجمل أمثال رسول الله ﷺ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله، فإن المُنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»^(١)، وتقول العرب: الحسوم تورث الحشوم، فخير العمل أذومه وإن قلَّ، فليس المقصود من المسابقة والمنافسة أن تكون «نوبة حماسة» تفر بعد ساعة، بل المقصود

(١) «سنن البيهقي» (٤٨٤٨).

وأعوذ بك من العجز والكسل .
وأعوذ بك من الجبن والبخل .
وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال .
وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه الفقير إلى عفو ربه ورحمته
أبو المنذر

خليل بن إبراهيم أمين

E.mail: kaaa5@hotmail.com

ص.ب ٣٨٠٩٨٠ الرياض ١١٣٤٥

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
استهلال	٣
مدخل	٥
السبق في اللغة	٨
فاستبقوا الخيرات	١٠
النبي ﷺ يقرر مبدأ المسابقة	١٨
المسابقة بالأقدام	١٨
هل من مسابق؟	١٩
مسابقة النبي ﷺ بين الخيل	٢٠
مسابقة النبي ﷺ بين الإبل	٢١
آخر الأنبياء وأسبقهم محمد ﷺ	٢٢
السبقية في حياة الصحابة رضي الله عنهم	٢٧
الصديق السباق	٣٥
الصديق يسبق الأمة إلى دخول الجنة	٤٧
أنموذج آخر من مسابقات الصحابة رضي الله عنهم	٤٩

- ٤٩ سبقك بها عكاشة
- ٥١ سبق المفردون
- ٥٥ أمة السبق
- سببية أمة الإسلام في الأجر على باقي الأمم رغم
- ٥٦ قصر عمرها
- ٥٧ سبقها بإعطائها ليلة القدر
- ٥٨ وادخار يوم الجمعة لها
- ٦٠ التحذير من التنافس على زهرة الحياة الدنيا
- ٦٠ كلمة لا بد منها
- ٧١ المسابقة إلى ما فيه سعادة المسلم في الدنيا والآخرة
- ٧٤ المسابقة إلى سوق العمل
- ٧٧ أهمية العمل عند المسلمين
- ٨٠ المسابقة إلى ما فيه عز الإسلام وتفوق المسلمين
- ٨٨ المسابقة إلى إعداد القوة
- ٩٣ عقبات في طريق السباق
- ٩٨ زاد السباق
- ٩٨ أولاً: زاد السباق الروحي
- ٩٨ الصلاة وقيام الليل

١٠٥	قراءة القرآن
١٠٧	الدعاء
١٠٧	ملازمة خشية الله
١٠٧	خفض الجناح ونبد الخيلاء والكبرياء
١٠٨	القناعة والزهد والتحل بالمروءة
١٠٨	التمتع بخصال الرجولة
١٠٩	هجر الترف
١١٠	ثانياً: زاد السباق البدني
١١٠	قواعد في حفظ الصحة
١١٣	غذاء السباق
١١٧	ترتيب النوم
١١٧	قواعد في ترتيب النوم
١١٩	ممارسة الرياضة
١٢٢	الخاتمة «لا تكن منبتاً»
١٢٥	الفهرس